FAMILY
BOOKSHOP
GROUP

FB

دار
مكتبة
العائلة

جانب مطرانية السريان الارثوذكس ص ب ٢٥٩٢ ☎ ٦٤٥٨٤٨ حي السليمانية - حلب - سورية

ܒܝܬ ܟܬ̈ܒܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܙܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠ ܩܕܡ ܕܝ̈ܢܐ
ܘܢܗܘܐ ܡܢ ܒܢ̈ܝ ܡܠܟܐ ܘܫܪܐ ܕܪܫܗ ܢܫܠ ܘܐ
ܠܗܠ ܠܗ ܫܪܐ ܟܠ ܪܫܘ ܢܗܘܐ ܠܗ ܫܪܐ ܟܡܐ
ܥܕܡܐ ܕܢܬܦܢܐ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

المراكز السريانية الثقافية

الدكتور يوسف حبي

عضو المجمع العلمي العراقي
رئيس تحرير مجلة بين النهرين

تقـديم :

نحاول في هذا البحث رصد أهم المراكز الثقافية التي كانت السريانية فيها لغة المعرفة والعلوم والدراسة ، وسنرى ان الرقعة البلدانية المشمولة في بحثنا تمتد من شرقي انطاكية حتى الرها (اورفه) ونصيبين وحران ومرو والاحواز والخليج ، لكي تحتضن جزءا كبيرا من الوطن العربي المشرقي ، وبعض أجزاء بلاد تركيا وفارس . اما الزمن الذي عليه مدار بحثنا هذا ، فالقرون الاولى من الميلاد ، مع اضطرارنا الى القاء نظرة تسبق ذلك ، لاعطاء خلفية وركيزة ، فنتحدث عن الارامية وانتشارها في عصور ما قبل الميلاد، وبهذا يتم استيعاب السريانية ودورها ، لان السريانية وريثة الارامية الشرعية ودور السريانية الثقافي في خدمة الحضارة والتاريخ امتداد طبيعي لاسهام شعوب ولغات المنطقة في تكوين التراث الحضاري المشرقي العظيم .

لن يتم استيعاب هذه الصفحات الا اذا اكملنا الموضوع بمطالعة (اصالة السريانية) و (الفلسفة السريانية) وبحوثا اخرى في الموضوع [١] .

---

(١) للمؤلف : اصالة السريانية ومساهمتها في البناء الحضاري، مجلة المجمع العلمي العراقي / الهيئة السريانية ، المجلد ٧ (١٩٨٣) ، ص ٣ ـ ٣٢ ؛
الفلسفة السريانية ، مجلة المجمع العلمي العراقي / الهيئة السريانية ، المجلد ٨ (١٩٨٤) ، ص ٣ ـ ٤٧ ؛
ملامح خليجية ثقافية، مجلة بين النهرين، السنة ١٢ (١٩٨٤) ، العددان ٤٥ ـ ٤٦ : ص ٢٧ ـ ٤٤ .

نقسم هذا البحث الى ثلاثة اقسام :

١ـ السريانية وريثة الارامية والحضارات القديمة •

٢ـ السريانية لغة معاهد وثقافة •

٣ـ أهم المراكز السريانية الثقافية في القرون الاولى للميلاد •

اولا ـ السريانية وريثة الارامية والحضارات القديمة

عرض القضية :

القضية المعروضة هنا تتشابك فيها جملة مشاكل ، لذا اقتضى توضيحها قبل الولوج في صلب الموضوع •

أول هذه المشاكل : خلط العديد من الباحثين بين الارامية والسريانية • وثانيها : خلط الكثيرين ايضا بين الاراميين والسريان لغة وحضارة ، وبين الاراميين والسريان جنسا وشعبا • وقد أوضحنا شيئا من ذلك في بحثنا (أصالة السريانية) الذي ألمحنا اليه •

وثالثها : عزل بعضهم الارامية والاراميين ، والسريانية والناطقين بها عن لغات المنطقة وشعوبها ، قديمها وحديثها •

هذه وغيرها من أخطاء شائعة في أوساطنا وفي بطون الكتب ، تضطرنا الى تبيان عدم علميتها من جهة، والكشف عن حقائق الامور وواقعها التاريخي وايضاح الركائز التي عليها يقوم ما سنتعرض له في بحثنا الحالي بشان المراكز الثقافية السريانية ودورها الفكري والعلمي في القرون الاولى للميلاد •

وقد لا ينتبه الجميع الى الاسباب التي تدفعنا الى تناول هذه المشاكل وأمثالها ، واضطرارنا الى تناولها جملة لا تفصيلا ، فنقول اننا مرغمون بل مكرهون على ذلك ، لانها مسائل متقاربة ، متداخلة ، متشابكة ، بل وشائكة

يستحيل عزل بعضها عن بعض ، لذا سنحاول ما امكن تمييزها عن بعضها زيادة في الايضاح .

السريانية والارامية :

السريانية [٢] في عرف الباحثين ، لغة آرمية متطورة . ويقول البعض، بشكل أقل دقة ، انها لهجة آرامية ، او انها أهم لهجة . ترقى أصولها الى الاكدية والبابلية والاشورية .

والآرامية [٣] فرع من الدوحة اللغوية التي سماها المستشرقون بالسامية

---

(٢) بشان الكتب التي تتناول السريانية ، تاريخها وآدابها ، انظر :
(المطران) اقليميس يوسف داود ، كتاب اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، ط ١ ، ١٨٧٩ ، ط ٢ ، ١٨٩٦ . الموصل ؛
البطريرك افرام برصوم ، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ، ط ١ ، حمص ١٩٤٣ ، ط ٢ : حلب ١٩٥٦ ، ط ٣ ، بغداد ١٩٧٦ ؛
فولوس غبريال ـ كميل افرام البستاني ، الاداب السريانية واعلام السريان ، ج ١ ، بيروت ١٩٦٩ ؛
الخورفسقفوس برصوم يوسف أيوب . اللغة السريانية ، ط ٢ حلب ١٩٧٣ ؛
مراد كامل ـ محمد حمدي البكري ـ زاكية محمد رشدي ، تاريخ الادب السرياني ، القاهرة ١٩٧٤ ؛
الاب البير ابونا ، ادب اللغة الارامية ، بيروت ١٩٧٠ ؛
الشحات السيد زغلول ، السريان والحضارة الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٥ ؛
A. Baumstark, Geschichte der syrischen Literatur, Bonn 1922 ;
I. Ortiz de Urbina, Patrologia Syriaca, Roma 1965, ed. altera.

(٣) بشأن الارامية نحيل الى مراجعة كتب نولدكه ، ولفنسون ، موسكاتي ، وكلها مترجمة الى العربية :
تيودور نولدكه ، اللغات السامية ، ترجمة رمضان عبدالتواب ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٣ ؛

نسبة الى « الساميين » • فهي لغة سامية ، شمالية ، غربية ، وردت نصوصها الاولى منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وغدت لغة دولية عدة قرون ، واستمرت ذات شأن في القرون الثلاثة الاولى للميلاد ، حتى انحسرت امام تبلور بعض لهجاتها ، لاسيما السريانية ؛ وازاء تنامي اليونانية وانتشار العربية أخيرا •

اما السريانية فقد بدأت كلهجة رهاوية ، تبنتها مملكة الرها (اديسا ، اورفه) لغة رسمية لها منذ بدايات القرن الثاني للميلاد ، على أقل تقدير ، و فت التطور والتمكن بفضل مدرسة الرها لاسيما في القرن الرابع ، وعرفت الرسمية والشمولية ردحا من الزمن ، بحيث شملت رقعة واسعة من البلاد المشرقية ، حتى انحسر ظلها حيال انتشار العربية ، فاقتصرت على مجالات الدين والفلسفة والعلوم والفنون مدة قرون ، وما تزال مكرسة لطقوس وكتابات القسم الاكبر من كنائس الشرق الاوسط وساحل الملبار في الهند •

وليس من باب الخلط بين الاراميين والحضارة الارامية ، انما لاظهار بعض الخصائص التي للارامية ، كما لتعرف على التشابك الحضاري الذي يجمع بين الارامية والسريانية ، نوجز هنا بعض الشيء ، فقد شمل النطاق الجغرافي للارامية والسريانية بلدان الشرق الادنى وقسما من آسيا الصغرى وشمالي الجزيرة العربية ، بينما اتسع اطارها التاريخي نحو ٢٦٠٠ سنة ، وذلك من القرن ١٢ ق م وحتى القرن ١٤ م ؛ بشكل اجمالي وتقريبي •

---

١. ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، طبعة جديدة، بيروت ١٩٨٠ ؛
سبتينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة يعقوب بكر ، القاهرة ١٩٥٧ ؛
دبونت سومر ، الاراميون ، ترجمة الاب البير ابونا ، مجلة سومر ، المجلد ١٩ ، ١٩٦٣ ، بغداد ؛
المطران غريغوريوس صليبا شمعون ، الممالك الارامية ، حلب ١٩٨١ .

ظهور الاراميين في التاريخ

لعل أول ذكر للاراميين في التاريخ كتابة مسمارية ترجع الى عهد الملك الاكدي نرام ـ سين (٢٢٦٠ ـ ٢٢٢٣ ق م) ، ثم في نصوص مسمارية من القرن ١٤ ق م عثر عليها في جملة مواضع • ومعلوم ان ابراهيم الخليل آرامي، وانه اتخذ رفقة زوجة لا سحق ابنه ، وهي حفيدة اخيه ناحور الارامي من حران •

موطن الاراميين الاصلي المنطقة الشمالية من جزيرة العرب ، وقد كانت منطقة خصبة في سالف الازمان • فالاراميون قبائل رحّل انتشروا في البادية الواقعة غربي بلاد ما بين النهرين ، وتنقلوا بين نجد في الجنوب ، والشام في الشمال ، والفرات في الشرق ، وخليج العقبة في الغرب ، حتى ارغمتهم ظروف الصحراء على اللجوء الى الحضر والتحضر ، فزحفوا نحو الشمال ، والشمال الشرقي ، حتى بلاد الشام ورقاع ما بين النهرين ، وبلغوا بلاد اكد ومصر •

وللفظ « النهرين » أو « آرام النهرين » ذكر في نصوص مصرية من القرن ١٦ ق م• كما يرد لفظ « نهريما » في كتابات تل العمارنة ، واسم قبيلة « الاخلامو » الارامية مذكور في رسائل تل العمارنة من القرن ١٤ ق م•

وتمكن الاراميون من تأسيس دويلات أو ممالك صغيرة ، بل امارات ، وذلك اثر غزوات شنوها على الاموريين (وعاصمتهم ماري أي تل الحريري) والميتانيين (وعاصمتهم تايدي التي دمرها ملك آشور ادد ـ نيراري سنة ١٣٠٠ ق•م ، فقامت مكانها مملكة باخياني الارامية في وادي الخابور في القرن ١٤ ق م) ، والحثيين (وعاصمتهم كركميش أي جرابلس ، وقد أخضعهم الاشوريون في القرن ٩ ق م) • وكون الاراميون أخيرا مملكة كلدو ، ما بين بابل والخليج ، وسوف تعرف فيما بعد بـ « بيث آرامايي » (وهي الابرشية

البطريركية لكنيسة المشرق) • ولابد لنا من ذكر ممالك آرامية اخرى أهمها : دمشق أو الشام ، سمال ، حماه ، صبا ، بيت عديني في تل برسيب أو تل الاحمر ، غوزانا ، بيت زماني ، بيت اغوشي ، كركم ، سوحي ، آرام النهرين أي حران ، ودويلات صغيرة أخرى أهمها : رحوب ، ايشوع ، كمبوتو ، فقودو ، وربما ميسيني (ميسان) وحدياب (اربيل) والخ •

ومجمل القول ان الارامين لم يظهروا كشعب له كيانه الخاص المستقل قبل القرن ١٥ ق م • أما سيادتهم ونشاطهم الحضاري فمنذ القرنين ١٢ – ١١ ق م ، حين أنشأوا دويلات امتدت ما بين حلب وجبال طوروس ، ووقفت حاجز امام توسع الاشوريين مدة من الزمن ، حتى اخضعهم الاشوريون بفضل قوتهم العسكرية ، فأخفق الاراميون في تكوين دولة موحدة لدويلاتهم المتفرقة ، بل كانوا يتطاحنون احيانا فيما بينهم ، حتى قضى عليهم الفرس الاخمينيون (٥٥٩ – ٣٣٢ ق م)(٤) •

حضارة الاراميين

نشط الاراميون في المجال التجاري ، فكانت أشهر مدنهم مراكز تجارية وثغورا مهمة في الشرق المتوسط ، كما امتازوا بالحركة العمرانية والفنية وشتى الاوجه الحضارية الاخرى • لكنه يصعب ان نميز بدقة ما للاراميين من خصائص في هذه المجالات وما لغيرهم من اقوام وشعوب سكنوا المنطقة في الازمنة عينها ، أي منذ القرن ١٤ ق م وحتى القرن الثالث للميلاد • فتارة يعود الفضل للفينقيين والحثيين ، واخرى للبابليين والكلدانيين والاشوريين ، وغيرها للفرثيين واليونان والرومان ، وغيرهم من الاقوام ، مع بقاء الفارق بين أهالي المنطقة الاصليين والدخلاء ، فهي منطقة من أشد المناطق تشابكا ،

(٤) راجع الهامش اعلاه ، ولاسيما : الاراميون ، والممالك الارامية .

وتنازعا ، واندماجا ، وعطاء ، في العصور الخوالي •

وهذا ما دفعنا الى التمييز بين الاراميين جنسا والاراميين لغة وحضارة ، كما جعلنا نؤكد على عدم عزل الاراميين والارامية عن شعوب ولغات المنطقة المتعددة الاصول والاوجه والابعاد ، حتى ليمكننا القول ان الارامية عمت البلاد التي أطلق عليها اسم منطقة الهلال الخصيب ، بل تجاوزتها الى مناطق ألمحنا اليها سابقا •

ولنا أن نلمح الى نقطتين مهمتين تفصحان عما نحن بشأنه هنا •

فقد حمل آشور ناصربال على مملكة بيت زمانيّ (آمد ـ ديار بكر) عام ٨٨٢ ق م وسبى الفا وخمسمائة من الاراميين (اخلا مو) واتى بهم الى بلاد آشور • كما جلا شـلمنصر الثالث (٨٥٩ ـ ٨٢٤ ق م) أو الخامس (٧٢٧ ـ ٧٢٢ ق م) نحو ألفين واربعمائـة من أهـالي مملكة بيث عديني (وعاصمتها تل برسيب أو تل الاحمر) الى آشور ، وجعل الدويلة المذكورة ولاية آشورية • وبعد انتصـاره على التحالف المصري الارامي في واقعـة قرقر ، نقل سرجون عددا غفيرا من أهالي حماه الى السامرة ، واوطن في حماه نحو ستة آلاف وثلاثمائة آشوري ، بينما نقل نحو سبعة وعشرين الف آرامي الى بلاد آشور وبابل • ومنذ المدّ اليوناني في القرن الرابع ق م ، انتشر عدد من اليونانيين ، ثم من الرومان في المنطقة ، واختلط بعضهم باهاليها ، علاوة على انتشار اقوام آخرين ، وتزاوجهم ، وانصهارهم ، وتأثيرهم ••• فلا يصح البتة فهم الارامية والاراميين ضمن منطقة محدودة ثابتة المقاييس والابعاد ، ولا يحق حصرهم ضمن جنس معين واحد • وكذا الامر بالنسبة الى المنطقة وأهاليها •••

وثمة ظاهرة أهم من سابقتها ، ذات صلة وُثْقَى ببحثنا الفكري العلمي ،

تتركز فيما اقتبسه الاراميون من حضارات وادي الرافدين ووادي النيل وحوض البحر المتوسط ، وما أفادوه لغويا وفكريا وعلميا وفنيا ، فاضافوا وطوروا ، رغم انهماكهم بالحروب والتجارة • بل ان العامل اللغوي كان مؤثرا في تأكيد نفوذ الاراميين ، لان بساطة الابجدية الارامية وسهولة نحوها وصرفها ، ساهما في انتشار هذه اللغة في رقعة الهلال الخصيب والمناطق المجاورة ، لدى سائر الشعوب القاطنين آسيا الصغرى والبلاد الواقعة تحت الحكم الفارسي من حدود ارمينيا وحتى جزيرة العرب ، وذلك منذ القرن الرابع عشر ق• م حتى عهد الاسكندر المقدوني وخلفائه ، اذا اتخذتها الدولة الاشورية لغة رسمية لها ، وبعدها دولة فارس ، فأصبحت لغة دولية • ولم تقل أهميتها بكثير في العهد البيزنطي رغم انتشار اليونانية •

هكذا أصبحت الوليدة أمّا •وكان لنتاجها الثقافي تأثير ذو شأن في حضارة المنطقة بأسرها • فالاراميون ورثة الحضارات المشرقية القديمة • والارامية فرع من أصل واحد عميق الجذور ، متعدد الفروع ، باسق الاغصان ، وفير الزهر والثمر • انها شجرة يرجعها عالم الروايات التقليدية الى شجرة آدم في الفردوس الارضي ، وموقعه في البلاد الهلالية المشرقية المتوسطة •

ولو شئنا التنويه بشيء من معالم البيئة الثقافية الارامية ، لالفينا هذا النشاط متمركزا في المعابد والقصور • وان قوما ، هم الاموريون ، خرجوا من شبه جزيرة العرب ، وتغلغلوا في بلاد الشام ووادي الرافدين ، فكونوا دولة عظيمة كان أشهر ملوكها حمورابي (١٧٢٨ — ١٦٨٦ ق م) اتخذت من بابل عاصمة لها ، تكنيها قوانينها المشرعة رسميا وحياتها العمرانية ومستواها الادبي للاشادة بعظمتها الحضارية • وقد استفاد الاشوريون من ذلك كله ، حتى بلغوا أوج العز في عهد سنحاريب (٧٠٥ — ٦٨١ ق م) ، وكيف لنا هنا

أن نغفل ذكر مكتبة آشور بانيبال بآلاف ألواحها الطينية التي حفظت لنا أهم واقدم تراث عالمي ؟ • ثم لمع نجم الكلدانيين ، فتوغلوا حتى الفرات الاعلى والأسفل ، وتحققت لهم انتصارات رائعة في عهد نبوخذنصر ، واشتهروا بالرياضيات والتنجيم[٥] • واستولى الفرس بعد ذلك على البلاد ، ثم الاسكندر ، وحكمها السلوقيون والفرس والرومان ، فاصطبغت المنطقة ، شعبا ولغة وثقافة ، بصبغات حضارية اخرى ، زادت من تفاعلها الحضاري القديم • وقد ظل نفوذ الارامية قويا وملموسا حتى بعد زوال نفوذ الاراميين السياسي ، فهي لم تعد لغة التجارة والثقافة وحسب ، انما لغة الحكومة والشعب في منطقة الهلال الخصيب ومجاوراتها : ولم تفقد هذه الميزة في عهد الفرس ، اذ لم يتمكن هؤلاء من فرض لغتهم • بينما نجابه بانحسار الارامية حيال المد اليوناني اللغوي والحضاري[٦] •

هكذا كان الاراميون ورثة الحضارات الاشورية والبابلية والفينيقية ، وبشكل غير مباشر ورثة حضارات أقدم كالسومرية والمصرية القديمة جدا ، كما تأثروا بالتراث الفارسي واليوناني ، وأثروا بأشكال واشكال في حضارات حوض البحر المتوسط • وقد اضافوا الى كل ما أخذوه وابدعوه أصالة مشرقية وتطورا ملموسا • أما لغتهم فكانت قد تمد ظلها على سائر اللغات لاسباب علمية بالدرجة الاولى •

---

(٥) علوم البابليين لمرغريث روثن ، ترجمتي ، بغداد ١٩٨٠ ؛
طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ١٩٧٣ ؛
العراق القديم لجورج رو ، ترجمة حسين غزان حسين، بغداد ١٩٨٤ .

(٦) فيليب حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج ١ ، وانظر : انتصار الحضارة لبرستد ؛
تاريخ مصر والشرق الادنى لنجيب ميخائيل ؛ تاريخ سوريا لاسد الاشقر ، ج ١ والخ .

هذا ما سترثه السريانية والناطقون بها بشكل طبيعي وعفوي ، مع ما هنالك من تأثر بلغات المنطقة وحضاراتها الاخرى ، لان المنطقة الواقعة في حوض البحر المتوسط وحتى جبال طوروس التي هي من أشد المناطق تعرضا للتشابك والتنقل والتحولات ، كما انها الاكثر تنوعا وغنى .

ثانياً ـ السريانية لغة معاهد وثقافة

شائعات واعتراضات

كما الحال بشأن الفقرة السابقة ، تقوم هكذا ، بشأن هذه القضية أيضا ، شائعات نحاول هنا تفنيد الخاطىء منها وايضاح الغامض وصولا الى قول سليم من خلال المعطيات الموثوقة .

السريانية ـ يقولون ـ لغة كنسية ، وتراثها ديني بالدرجة الاولى .

نجيب دون تردد : التعبيران تعميمان غير دقيقين ، بل غير صحيحين . لان ما يقال بشأن السريانية يمكن تعميمه على اللاتينية والعربية مثلا . فقد تبنت كنيسة الغرب الكاثوليكية اللغة اللاتينية مدة قرون لغة رسمية فرضتها كنسيا حتى على مناطق نائية وأقوام بعيدين جدا عن الغرب ، فتلبس شكلها بزي كنسي دون ان يمكننا نفي تراث ادبي وعلمي عن اللاتينية . وكان الفضل الاكبر لترسيخ دعائم العربية وانتشارها للقرآن الكريم والدعوة الاسلامية ، لكننا لن ننفي الصفة العلمية والانتاج الفكري والادبي عن العربية .

وقد ألمحنا في بحث آخر(٧) الى الاسباب التي جعلت الناطقين بالسريانية الذين آمنوا بالمسيحية يتعدون عن تراثهم « الوثني » القديم ، ويتنكرون في بادىء الامر على الاقل ، لكل ما لا يمت الى الدين بصلة . غير ان هذا لا ينفي

(٧) الفلسفة السريانية ، ص ١٤ ـ ١٥ .

وجود تراث « علماني » حتى في أشد الفترات تمسكا بالدين ، اما في الفترات الاخرى فالتراث العلمي والفكري غير الديني موجود بمقدار غير يسير ، انما ينبغي الكشف عنه : فهو عادة مغلف بأطر دينية وكنسية مختلفة .

ويظل الاعتراض قائما ، حتى نثبته بأدلة وشواهد لا تقبل الجدل والتشكيك فيه . ومفاده ان للسريانية تراثا فكريا ، علميا ، ادبيا ، وفنيا يتعدى نطاق الدين وشؤون الكنيسة . هذا بالضبط ما نحاول اثباته ، مركزين على القرون ٢ ـ ٧ للميلاد ، فهو العصر الذهبي الاول ، سيليه عصر ذهبي آخر يمتد من القرن ٨ وحتى ١٤ للميلاد [٨] ، لن يدخل في اطار بحثنا هذا ، وقد أفاض فيه آخرون بشكل أو بآخر .

ومن المفيد التنويه بأن تراث السريانية الفكري والعلمي منه ما كان في خدمة الدين ومتطلباته فعلا وحقا ؛ ومنه ما كان مستقلا بل غريبا في بعض الاحيان . وهذا شأن معظم المعارف في العصور الخوالي . فقد بقيت الفلسفة مثلا في خدمة الدين (اللاهوت ، الفقه) حتى عصر النهضة الحديثة في الغرب . والجميع مطعون على ما فيه الكفاية من المشادات الطويلة بين الغزالي والمتكلمين وابن رشد والعقلانيين بشأن ذلك . وهكذا الامر بشأن الرياضيات والفلك ، والموسيقى والخط وغيرها ، فهي علوم وفنون خدمت الدين وأفادت منه في تطورها وانتشارها .

آرامية وسريانية

السريانية ، كما أسلفنا ، لغة آرامية متطورة . لم تتبلور فجأة في مكان معين واحد ، بل عرفت سنة التطور خلال عقود وقرون ، في جملة أماكن ، وبأشكال

(٨) اضافة الى ما ذكرناه في الهامش رقم ٢ ، انظر : عصر السريان الذهبي للفيكونت فيليب دى طرازى ، ط ٢ ، حلب ١٩٧٩ .

متباينة ، وذلك بفضل عدة عوامل ، شأنها في ذلك شأن سائر لغات العالم والشعوب ، ولاسيما الاكثر تعرضا للتمازج والتغير •

ولعلي أوجز تشخيص أبرز العوامل في ثلاث نقاط مهمة هي :

١ ــ متطلبات الدويلات الارامية وتبني بعضها التطور اللغوي الحاصل في صفوفها •

٢ ــ تأثر الارامية ، ووليدتها السريانية الناشئة ، بالفكر والعلوم والفنون اليونانية خاصة •

٣ ــ تبنّي الكنيسة هذه الوليدة المتميزة في منطقة معينة ، لغة رسمية . واستخدامها في الكتب والطقوس •

ولابد لنا هنا من التعرض لمشاكل التسمية : «السريان» ، و «السريانية»• فقوم يقولون انها مشتقة من سوريا ، وهذه من آشور • وآخرون من سورس الانطاكي • بينما يرى غيرهم انها اعجمية ، أطلقها اليونان ، أو مسيحية لتميز لغة القوم المتنصرين عن الذين بقوا على الوثنية[٩] •

من الثابت ان اليونان السلوقيين حين أقاموا دولتهم (٣١١ ــ ٦٤ ق‌م) . اثر فتوحات الاسكندر ، اطلقوا على الاراميين لقب « سريان Syrians » تمييزا لهم عن « الاشوريين Assyrians الذين لم يتمكن السلوقيون من السيطرة عليهم • ثم جرى تمييز بين « سورية الغربية » و « آسورية الشرقية » • ثم ما عتم ان سميت الارامية بالسريانية ، حتى حصل الالتباس بين اللفظتين • وزاد الامر تعقيدا وتشابكا اثر المنازعات السياسية الحاصلة بين الفرس والروم ، فانها لم تتمكن من الحد من نفوذ الارامية ، بل تمكنت

(٩) اللمعة الشهية للمطران اقليميس يوسف داود ، ص ١١ ، واللغة السريانية للمطران صليبا شمعون ، مجلة بين النهرين ١ (١٩٧٣) ، ص ١٨ ــ ٢٢ .

هذه اللغة من ضمان وحدة الدولة الاشورية ، كما تحدث بها العبرانيون ونقلوها الى مصر ، فحافظت على كيانها حتى القرن الخامس ق م ، لاسيما في جزيرة الفيلة . وورثها الفرس الاخمينيون عن الاشوريين والكلدانيين ، واعتبروها لغتهم الرسمية ، فأصبحت لغة الشعوب الشرقية اجمالا ، يستخدمها التجار والعلماء ، ونطق بها المسيح وتلاميذه ، وتبنتها كنائس شرقية متعددة ، ولاسيما كنيسة المشرق التي كرسيها سلوقية ــ طيسفون فنشرتها في أوساط نائية جدا ، كما في بلدان آسيا الوسطى وظلت السريانية تنافس اليونانية ، حتى حين أصبحت بلاد ما بين النهرين ولاية رومانية ، بحيث يمكننا القول ان لغة الدولة البيزنطية كانت السريانية بالدرجة الاولى ، تليها اليونانية ، ثم لغات اخرى كالعربية والقبطية وغيرها من لغات المنطقة[١٠] . ولا عجب ان ينشىء هذا التشابك والتوسع والامد الطويل اختلافات ومفارقات ، منها ما يخص التسمية أيضا .

ورغم النزاع المستديم بين البيزنطيين والساسانيين ، ووقوع امدن الارامية والمسيحية المشرقية السريانية تحت حكم هؤلاء واولئك . نلقى استمرار انتعاش السريانية وتوغل المسيحية شرقا ، بحيث سجل القرن الرابع نصرا مبينا للدين الجديد ، والسريانية لغة طقوسه وكتاباته ، «فنبذ المسيحيون اللغة اليونانية ، متفردين بالسريانية ، وقاوموا الكتابات الوثنية ما أمكن ، ولو آرامية ، وقاموا بنشاط ديني وفكري لا مثيل له في التاريخ »[١١] .

والمهم في أمر التسمية انها حديثة نوعا ما ، ترجع الى خمسة أو اربعة

(١٠) خلاصة كلمة القاها البروفسور Vincenzo Poggi في ندوة دارت حول انتقال النصوص اليونانية واللاتينية القديمة الى لغات شرقية ، وذلك يوم ٢٦ــ٣ ــ ١٩٨٥ ، وسوف تنشر البحوث في كتاب مستقل من قبل جامعة روما ــ الحكمة .

(١١) فولوس غبريال ــ كميل البستاني ، الاداب السريانية ، ص ١٢ .

قرون ق م بالنسبة الى منطقة غربي الفرات ، بينما تعود الى سنوات قليلة بعد الميلاد نسبة الى البلاد الواقعة شرقي الفرات • لنستمع الى رأي الدكتور حتي : « عندما اتخذ المسيحيون الاراميون لهجة اديسا (الرها ــ اورفه) وجعلوها لغة الكنيسة والادب والتعامل الثقافي » ، صاروا يعرفون باسم سوريين ، وأصبح لاسمهم القديم ، أي الاراميين ، مدلول وثني غير مستحب في عقولهم ، ولذلك تجنبوه بوجه العموم ، وحلت محله التعابير اليونانية ، وهي سوري بالنسبة للشعب ، وسرياني بالنسبة للغة »[١٢] • وكان المطران أدي شير قد قال : « للكلدان المسيحيين اسماء كثيرة في التواريخ • فسموا آراميين نسبة الى آرام بن سام الذي استوطن هذه البلاد وعمرها بنسله ، وفرسا لكونهم وجدوا في مملكتهم ، ومشارقة لانهم في المشرق ، ونساطرة لاتباعهم تعاليم نسطور بطريرك القسطنطينية ، وسريانا شرقيين تمييزا لهم عن السريان الغربيين وهم اليعاقبة (الارثوذكس) ••• »[١٣] • وقال فولوس غبريال وكميل افرام البستاني : « لا تفيد لفظة السريان بطنا من قبيلة أو فخذا من قوم ، ولا فرعا من أصل أو جزءا من كل • بل أطلقت على من أدرك النصرانية من سكان سورية الاراميين ، فانسلخ من تلك الجماهير التي كانت قد انتشرت في المشرق ، منذ الالف الثاني قبل الميلاد ، متمركزة في ممالك مستقلة فرضت سلطتها على شعوب البلدان حينا ، أو منكمشة في مجموعات منعزلة خضعت لصاحب السلطان احيانا • ولطالما تلاعبت بها أحداث الزمن ، وكيفتها صروف الدهر ، من قيام دولة وزوال أخرى . من سومريين ، وبابليين ،

---

(١٢) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(١٣) كلدو وآثور للمطران ادي شير ، بيروت ١٩١٣ . ج ٢ ، المقدمة ب . وينهي قوله باستنتاج لم تعد تقبله الدراسات الحديثة علميا ، محاولا اثبات تسمية (كلدان) و (كلدانية) كاسم اصلي لغة وجنسا ووطنا ، بينما الحقيقة أكثر تعقيداً وشمولية من ذلك .

وحثيين ، وميتانيين ، وآشوريين ، وكلدان ، وفرس ، ويونـان ، وروم ، وعرب ، فكان لها في كل ذلك يراع في خط التاريخ القديم ، وسهم في خلق الحضارة الانسانية الشاملة . ينتسب الاراميون اجمالا الى آرام بن سام بن نوح ، على ان الحلقات ضاعت بينهم وبين جدهم . وقد يرجعون في أصلهم ، على ما يبدو ، الى تلك الموجة من الساميين التي انطلقت ، حول الالفين ق. م. ، من جنوبي العراق ، باتجاه الفرات الاعلى ، حيث استقروا في الحلقة المكونة من هذا النهر ومن ساعده البليخ ، الى دجلة ، فعرفت البلاد باسم « آرام النهرين » ، واتخذت حران قاعدة لها . ثم ما لبثوا ان انحرفوا الى وادي العاصي ، متطرفين حتى البقاع . ومتوغلين حتى شرقي الاردن ، في « آرام دمشق » ، متوقفين في انتشارهم شمالا ، أمام جبال طورس الوعرة ، ومحجمين ، غربا ، عن بادية الشام القفرة ، فمتحضرين في المناطق الخصبة ، وهي كلها « آرام » ، تتميز الواحدة عن الاخرى باضافة المسمى المحلي »[١٤]. وبوسعنا الاستزادة من الشواهد والاراء .

ومن الاهمية البالغة بمكان القول ان التسمية التي شاعت لدى الناطقين بالارامية ــ السريانية انفسهم ، منذ بدايات العهد الميلادي على الاقل ، هي « سوريايا » ، تطلق على القوم كما على اللغة ، وذلك بلغتهم ، لا فرق في ذلك حتى بين اتباع المذاهب المختلفة منهم بعد ان فرقتهم المذاهب الدينية الى فرق مختلفة . وتشمل حتى يومنا هذا لفظة (سورايا = سوريايا) جميع المنتمين الى هذه اللغة والتراث الارامي ــ السرياني ، مع تأكيد على المسيحية كانتماء ديني . أما المؤرخون العرب القدامى ، وكتبة السريانية أنفسهم ممن كتبوا بالعربية ، فقد قالوا « السريان » أو « السريانيين » و « السريانية »

(١٤) فولوس غبريال ــ كميل البستاني . ص ٧ .

حين أرادوا السريانية والناطقين بها منذ القرون الاولى للميلاد فما بعدها[١٥].

تطور الارامية السرياني

ليس لنا تحديد الفترة الزمنية بدقة ، ولا المكان بالضبط ، اللذين فيهما تم تطور الارامية السرياني ، وهذا شأن جميع اللغات ، فهو تطور طبيعي يتطلب وقتا طويلا ومواضع متعددة ، لانه حصيلة عوامل مختلفة . لذا فهي اشارات لا غير هذه التي نسجلها للكشف عن هذا التطور الحاصل .

لقد انفسح مجال التطور بشكل خاص منذ وفاة انطيوخس ابيفانس (١٧٤ ــ ١٦٤ ق‌م) ، وذلك بانتهاء النظام البوليسي ، ثم بانصرام حبل القوة السياسية للسلوقيين . اثر تدمير قوات لهم كبيرة من قبل الفرثيين نحو سنة ١٣٠ ــ ١٢٩ ق م ، اذ استقلت بعض اجزاء بلاد ما بين النهرين ، فحكمت بعض العوائل والقبائل العربية والنبطية ، كما في الحضر وسنجار في الشرق ، وميسان Mesene في الجنوب ، وانتيموسيا واديسا (Anthemusia, Edessa) في الغرب ، وغدت الاخيرة قاعدة مملكة مستقلة قبل وفاة انطيوخس سيديتس (سنة ١٢٩ ق م) بقليل ، ولا عجب فان اديسا ــ الرها أهم مدينة في مقاطعة اوزرهيني (Osrhoene) [١٦] .

ليست لنا اشارات واضحة عن الرها خلال العهد السلوقي الاول . أما بالنسبة الى العهد المتأخر فلنا بعض الشيء لدى المؤرخين الذين كتبوا باليونانية واللاتينية . يمكننا ان نستنتج منها انها كانت تميل سياسيا الى الشرق أكثر من ميلها الى الغرب ، رغم انها كانت مكرهة على الاستناد على

(١٥) هكذا مثلا نرسي ، حنين بن اسحق من كتبة السريانية ، واليعقوبي والمسعودي والطبري من المؤرخين العرب .

(١٦) J. B. Segal, Edessa, (The Blessed City) , Oxford 1960, p. 9 .

احدى القوتين المتنازعتين عهد ذاك ، فنراها تارة مع الرومان ، واخرى مع الفرثيين . لذلك كان التشابك الروماني ـ اليوناني ـ الفرثي قائماً في مملكة الرها التي تأسست بشكل فعلي عام ١٣٢ ـ ١٣١ ق.م ، ويفيدنا كيرشمن ودرايفرز بأن الرها لم تخل يوما من نزعة مشرقية واضحة (١٧) .

الرها مملكة حضارية

انتزعت الرها بقليل من الزمن اسبقية لغوية وثقافية على سائر دويلات الاراميين الذين اخذوا يسمون « سريانا » ، ولغتهم « سريانية » . وتصاعد الامر بعد ان اعلنت الرها مسيحيتها ، كأول مملكة في العالم تعلن المسيحية ديانة رسمية لها ، وذلك في القرن الثالث للميلاد على أبعد تقدير . اما انتشار المسيحية فيها ، وفي مناطق مشرقية اخرى ، فقد تم منذ القرن الاول للميلاد (١٨) .

يقول اوليري : « ان الرها باعتبارها مركز كنيسة الشعوب المتكلمة بالسريانية ، وباعتبارها موطن الجانب السرياني من الحياة العقلية اليونانية في الشرق ، قد أصبحت مركز انتشار ضياء النهضة الكبادوكية » (١٩) ، ويقصد الاباء القبادوقيين الذين كان لهم اكبر التأثير على العلوم الدينية قديما ، وهم باسيليوس وغريغوريوس النيصي وغريغوريوس النزينزي .

---

(١٧) Roman Ghirshman, Parthes et Sassanides, Paris 1962 ;
H. J. W. Drijvers, Hatra, Palmyra, und Edessa, in : Austieg und Niedergung der Römischen Welt,´II, Berlin - New York 1977.

(١٨) حصيلة دراسات طويلة اقوم بها منذ سنوات ، وكنت قد دبجت منذ عام ١٩٦٢ بحثا نقديا في بدايات المسيحية في بلاد الرها وما بين النهرين ، قدمته كاطروحة بكالوريوس في اللاهوت في روما ، ما يزال مخطوطا .

(١٩) علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب لدى لاسي اوليري ، ترجمة د. وهيب كامل ، القاهرة ١٩٦٢ (وثمه ترجمة عراقية ، بغداد ١٩٥٨) ، ص ٩ .

لقد كان التنظيم الاداري في الرها ذا صبغة هلنسية ، تبدو فيه تأثيرات فرثية . ويغفل الباحثون عادة ارجاع هذه كلها الى أصول اقدم تمتد الى حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل ، فهي أصول بعيدة ، لكنها أكيدة أيضا .

وخزانة المملكة الرهاوية الخطية ووثائقها من أنفس الآثار الخطية السريانية القديمة ، فهي من القرون الاولى للميلاد ، مكتوبة بآرامية ــ سريانية[٢٠] ، سوف يستقي منها اوسابيوس القيصري المؤرخ الكنسي الشهير معلومات قيمة في تاريخه[٢١] .

ولابد من التوقف لدى أحد مشاهير الرها الاوائل ، ططيانس المولود في بلاد آشور نحو سنة ١٢٠ م ، لغته آرامية ــ سريانية ، ودراسته موسوعية، تلقاها في عدة مدارس ، حتى انه وصل روما ، وقد اعتنق المسيحية ، وقام بترجمة نصوص الاناجيل الاربعة من اليونانية الى السريانية وجمعها في واحد (الدياطسرون) . وتبدو مشرقيته من كتاباته ، فهو يتنكر للفكر اليوناني عادة ، وله جملة تآليف في الكمال ، والكائنات الكاملة ، وطبيعة الشياطين ، والمعضلات ، وضد الذين يبحثون في أمور الله ، كما له خطاب ضد اليونان هو خلاصة فلسفية علمية مكونة من اربعة اقسام و ٤١ فصلاً في العلم ، والله ، والخلقة ، والحرية والارادة ، والملائكة والشياطين ، وسقطة الانسان ، والاتحاد بالروح حتى بلوغ الخلود ، والحضارة اليونانية والمتناقضات التي تحملها ، وقيمة المسيحية وسموها . اما الدياطسرون ، أو الانجيل الموحد ، فقد كانت له شهرة منقطعة النظير في القرون الاولى للميلاد ، لنا منه ترجمة

(٢٠) سيكال ، اديسا ، ص ٢٠ .

(٢١) كما في الفصل ١٣ من الكتاب الاول بشان اسطورة ابجر ــ ادى. وقد كتب اوسابيوس القيصري تاريخه عام ٣٢٥/٤م .

عربية قديمة[٢٢] وقد طبعت مرتين .

اما عملاق الادب السرياني في عهد هذه المملكة فهو برديصان المولود في الرها على الارجح ، لكن من ابوين من منطقة حدياب ، كططيانس ، وذلك سنة ١٥٤ م . تدرب في بيمارستان منبج (هيرابوليس) المركز السرياني المهم، ودرس التنجيم، بل نشأ في قصر ابجر ملك الرها ، وارسل ابنه الى معاهد آثينا لتعلم الفلسفة الرواقية والشعر والموسيقى . ترك لنا تلميذه فيليبس كتابا مهما عنوانه (شرائع البلدان) يبدو فيه تاثر برديصان بمناهج اليونان مع اصالة فكر مشرقي تكشف عنه الدراسات يوما بعد يوم[٢٣] . واشتهر امره جدا ونسبت اليه بدعة (البرديصانية او الديصانية) ، فقد اهتدى الى المسيحية بعد مسيرة متعمقة ، لكنه تبنى افكارا خاصة أهمها ــ حسبما يذكر مار افرام اكبر معارض له ــ القول بمبدأي النور والظلمة ، وخضوع الكائنات للاجرام السماوية ، فابعده اسقف الرها عني عن المدينة . وانتشرت بدعته بفضل المزامير والقصائد الملحنة ، واستمرت حتى القرن الثامن للميلاد كما يشهد بذلك يعقوب الرهاوي (المتوفى سنة ٧٠٨م) . ويفيدنا كتبة العرب والمسلمين ان اتباع برديصان انتشروا بين واسط والبصرة ، كما في خراسان وتركستان والصين حتى القرن العاشر . كتب ضد بدعة المرقيونية ، بينما كتب ضده

(٢٢) الاب د. بطرس يوسف ، ططيانس ، مجلة مجمع اللغة السريانية ، المجلد ٣ (١٩٧٧) ، ص ١٤٧ ــ ١٦٤ . وقد طبع نص الدياطسرون الاب مرمرجي ، بيروت ١٩٣٥ ، وقبله جاسكا عام ١٨٨٨ ، ثم بيترس سنة ١٩٣٩ .

(٢٣) كتب الكثيرون عن برديصان . آخرهم البروفسور درايفرز ، انظر كتابه وفيه بيبلوغرافيا شاملة :

H.J.W. Drijvers, Bardaisan of Edessa, Assen 1966. Bibliography, p. 229 — 249.

مار افرام (المتوفى سنة ٣٧٣م) لكنه خلد لنا تتفا من قصائده [٢٤] ، ويشرح لنا بركوني (من القرن الثامن) نظرياته في الكون ، نلقى فيها شواهد مشرقية أصيلة ، وللمراة لديه مكانة مرموقة [٢٥] • ولبرديصان ، عـلاوة على كتاب شرائع البلدان ، سفر في التنجيم ، ومزامير بعدد مزامير داود النبي ، ومجموعة مواعظ وابحاث دينية وفلسفية وتاريخية وفكرية •

لم تصبح الرها والممالك الارامية ـ السريانية الاخرى مسيحية كلها في القرون الاولى للميلاد ، فثمه آثار وثنية واضحة ، كما كانت فيهـا جاليات يهودية مستحكمة • وقد كان آخر قرن من قرون المملكة الرهاوية ، القـرن السادس للميلاد ، حافلا بانتشار المسيحية فيهـا بشكل كبـير ، وكذلك في المنطقة المحيطة بالرها •

ويمكننا وصف الفكر المسيحي الـذي شاع في أوساط الرها بانـه ارثوذكسي قويم اصيل ، مع نزوع نحوالمرقيونية والغنوسية والديصانية ، الامر الذي أعد الرها جاهزة لكي يصوغ ماني مذهبـه الخليط من الوثنيـة واليهودية والمسيحية متاثرا بالزرداشتية الفارسية ومبدأيها الخير والشر ، لكي يتجـد في الكسائية التوفيقية النزعة • وقد انتشرت المانوية في رقعة كبيرة من البلاد ، وعرفت في نصوص آرامية وسريانية ، بـل تبنى مبتدعها اسطورة ابجر ـ ادى ، فسمى تلميذيه ادى وتوما • بينما انتشر أدب الغنوسية بالارامية واليونانية • وشهيرة هي كتابات ناج حمادي • ولعل صابئة حران امتداد لنزعة مانوية ، بينما اللغة المنداعية آرامية [٢٦] • ان هذا المزيج الفكري

(٢٤) درايفرز ، برديصان ، كما اعلاه . وانظر كذلك :
Bardesane, Le Livre des lois des pays, éd. F. Nau, Paris 1931

(٢٥) سيجل ، اديسا ، ص ٣٥ ـ ٤٠ .

(٢٦) د. ناجي التكريتي ، الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية عند مفكري الاسلام ، ص ١٣٦ ـ ١٤١ ، وانظر :
The Nag Hammadi Library in English, Leiden 1977.

والـــديني (Syncretismus) اشاع مناخا حضاريا فضفاضا وجوا اجتماعيا مرحا في البلاد . ويدل الامر على انفتـــاح اهالي المنطقة على أفـــق المعرفة مهما اتسعت ، كما على نفس فكري موسوعي ينزع امـــا الى الخلط والتوفيق ، او الى التطوير والابداع والخروج عن الموروث والمالوف ، سواء أكان في العادات ام في التفكير .

والنزعة المشرقية بينة كما برهن كيرشـــمن ، فان فنون الحضـــر ودورا وتدمر مشرقية اكثر منها غربية [٢٧] . وقد زاد درايفرز فقال : ان الثقافة في الرها فن سامي الكلام والكتابة[٢٨] .

وتبنت المسيحية المشرقية سريانية الرهـــا واطرافها . وكان ما يزال ثمة من يفضل اليونانية على السريانية ، فهي لغة السلوقيين والبيزنطيين . اما لغة الفرثيين الادبية فهي الارامية ، وقـــد تعددت ، وتطورت في هذه المرحلـــة الحاسمة بالذات من تاريخ المنطقة، مرحلة انتقالها سياسيا ودينيا ولغوياء ولسنا نخطيء في تعميم ذلك على الثقافة ايضا. لكننا نلمس في مجمل هذا التحول نزعة مشرقية اصيلة . يكفينا الاستشهاد بططيانس وبرديصان وافرام ، فهم من أجل وجوه الثقافة السريانية الاولى ، فافرام لم يتاثر بالثقافة اليونانية ، وططيانس وبرديصان لم يحبذاها . انهم مشرقيون أصيلون [٢٩] .

وقبل ان نترك ظاهرة الرها العجيبة . نشير الى ان مدينة الرهـــا كانت مرتبطة بطريق مهم يصلها بنصيبين وحدياب فارمينيا باتجـــاه الشرق ، بينما

(٢٧) كيرشمن ، موجز الفصل الاول ، ص ١١٦ .

(٢٨) درايفرز ، الحضر .. ص ٢٢٨ .

(٢٩) سيكال ، ص ٣١ ، درايفرز ، برديصان ، ص ٢١٤ . وبشان مار افرام، كتاب مهرجان افرام ـ حنين ، بغداد ١٩٧٥ ، القسم الاول ، وفيه مراجع عديدة .

يصلها بسنجار والحضر في الجنوب الشرقي ، وبميسان حتى الهند عبر الخليج الى الجنوب ، وبمنبج الى الغرب ، ويتدمر الى الشرق الاقصى . كما كان ثمه طريق آخر الى فلسطين عبر منبج ايضا . وهذا دليل على اهميتها التجارية والاقتصادية . وكان ابولونيوس من تيانا قد سلك طريق الرها في ذهابه الى الهند نحو سنة ٤٧ م ، كما قطعته وفادة هندية سنة ٢١٨ م ، اي في عهد برديصان ، قصدت امبراطور روما .

بعض النواحي العمرانية والغنية المشتركة

اكتسب هيكل هيرابوليس شهرة كبيرة تناقلتها بابل وآشور ومصر والحبشة ، حتى اطلق عليها اسم «المدينة المقدسة» . وكانت الالهة الام «ترعطا» (Tara'tha - Atagratis) تقابلها الالهة هيرا Hera لدى اليونان . اما زوجها فهو الاله حداد ، يقابله زيوس او جوبيتر لدى اليونان والرومان. ثم اكمل الثالوث باله شاب، فكان الثالوث التدمري : بيل واغليبول وبرجيبول، والثالوث الحضري : مارن ، مرتن . وبر مارين . وهو عينه : اتارغاتيس ، زيوس ، وابولو لدى اليونان . وقد كانت عبادة « مارا » في تدمر ايضاً ، لانه صفة للاله « بعلشمين » اي « سيد السماوات » او الهها . وترجع هذه العبادة الى ايام الاراميين ، كما نلقاها في القرون الاولى للميلاد . وقد ياتي اسم هذا الاله « مارا دعلما » اي «سيد» او «رب العالم» ، او هو «ماريلاها» اي «السيد الاله » . ويدل هذا كله على وجود اصول مشتركة قديمة ، كما يدل على التقارب والتمازج بين مدن المنطقة رغم التقلبات السياسية واللغوية .

وكان في المنطقة اكرام الهة اخرى متشابهة ، منها الهة الاجرام السماوية

وعلى راسها الشمس (الاله شمش) ، والقمر (الاله سن) . كما انتشرت بكثرة عادة تقديم القرابين للالهة ، ورفع الادعية ، وحرق البخور . وتتشابه كذلك الاعياد والعادات الشعبية في مدن المنطقة كلها .

اما التماثيل والمنحوتات فكثيرة ومتشابهة . ويختلف هنا رأي الباحثين، فمنهم من يرى الاصل الاغريقي والروماني في العديد من الآثار الفنية الشاخصة في الهياكل والقصور الارامية ــ السريانية ، ومنهم من يرجع ذلك الى أصالة مشرقية قديمة . ونحن مع الرأي الاخير ، نؤكده لا تعصبا وانفعالا ، بل علميا وتوثيقيا ، مصعدين الاستنتاجات الاولية لكل من كيرشمن ودرايفرز ، حتى القول باكثر من تاثيرات مباشرة قريبة ، ولكن دون نفي تاثيرات اشتدت هنا او ضعفت هناك [٣٠] .

وقام في الرها ، اضافة الى القصر والمعبد، برج بجوار القصر عرف باسم « برج الفرس » لانه بني في عهد تسلطهم على البلاد . بينما يذكر لنا تاريخ الرها (المدون في القرن الثالث) بان فيضان نهر ديصان سبب هدم كنيسة سنة ٢٠١ م ، ولعل مقام ابراهيم الخليل هو موقعها القديم . وكثيرة هي شواهد القبور في هذه المدينة . وقد تكون أول كتابة سريانية هي المؤرخة سنة ١٦٥ م [٣١] ، ثم كثرت الكتابات السريانية فيها فيما بعد ، كما في مناطق اخرى ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، عقد بيع امتسين المكتوب على

(٣٠) يكفينا عقد مقارنة موضوعية وفنية بين الاثار السومرية ــ البابلية ــ الاشورية من جهة ، والفينيقية من الاخرى ، وبين الارامية والسريانية ، دون توسيع الحلقات ، للتاكد من القرابة ، دون التنكر لتاثرات يونانية، رومانية ، ايرانية ، مصرية وغيرها . وكتب الفن القديم كثيرة ومعروفة (عكاشة ، بارو ، احمد زكي وغيرهم) .

(٣١) سيكال ، اديسا ، ص ٥٧ .

الرق في دورا يوربس (الصالحية) سنة ٢٤٣م [٣٢] ، وتاريخ الرها المذكور آنفا ، وخزانة المملكة الوثائقية وكتاباتها السريانية •

وقد اثارت مسيحية الرها تساؤلات ، لهـا انعكاساتها على النـواحي الادبية وغيرها ، اذ الفرق كبير في ان تكون الرها قد اصبحت مسيحية منذ القرن الاول ، او علينا ان ننتظر القرن الثالث او الرابع • وسبب ذلك شكوك أثارها النقاد في أواخر القرن الماضي واوائل الحالي بشأن (اعمال ادى) وكتب اخرى كانت تشكل مع التقليد السائـد حججا وثق بهـا الاقدمون ، بينما اخضعها النقد التاريخي الى صرامة اسلوبه فلم تصمد كل الصمود . رغم كون اوسابيوس القيصري ينقل موجزها في تاريخه الكنسي عام ٣٠٤/٣٠٥م• لكننا ، بعد دراسات مستفيضة [٣٣] نقول بنواة اصلية مفادها : دخول المسيحية في الرها وانتشارها فيها وفي المناطق المجاورة منذ القرن الاول للبلاد ، وربما على يد احد تلاميذ المسيح • وهنا يتردد اسم الرسول توما ، واسـم تلميذه أدي ، وغيرهم • وليس غريبا ان تدون هذه الحقيقة باسلوب قصصي ضمن اساطير جميلة لاضفاء طابع ايماني ، كمـا كان يطيب لكتبـة تلك العهود ان

(٣٢) اثر كتابي باللغة السريانية من القرن الثالث للميـلاد ، المطران اندراوس صنا ، مجلة المجمع العلمي العراقي/الهيئة السريانية ، المجلد ٥ (١٩٧٩ – ١٩٨٠) ؛ ص ٢٥١ – ٢٦٧ . وبشـان الـكتابات الارامية والسريانية القديمة انظر :

F. Vattioni, Preliminari alle iscrizioni aramaiche, in : Augustinianum IX (1969) , p. 305 — 361 ; J. H. Hospers, A basic bibliography of the study of the Semitic languages, vol. I, p. XII+ Drijvers, Syriac, p. 283 - 269.

(٣٣) راجع الهامش ١٨ . واهم الذين تناولوا هذه الرواية واشبعوها نقـدا وتحليلا : فيليبس ؛ تزاهن ، ليبسيوس ، تيكسرون ، دفـال ، لابور ، مارتن ، مسينا ، اوربينا ، سيكال ، هرتلينغ ، ادى شير .

يفعلوا . وقد استوحيت بعض عناصر القصة ـ الاسطورة من قصة البيت الملوكي في حدياب ، كما يذكرها يوسيفوس المؤرخ ، وهي قصة رومانطيقية جرت نحو ٣٦م ، اي ايام الملك ابجر اوكاما ملك الرها ، فتم الربط ، بل الخلط ، بين ابجر اوكاما الخامس ، وابجر الكبير التاسع (١٧٩ ـ ٢١٤ م) الذي اعلن المسيحية دينا رسميا في المملكة ، ويسميه يوليوس الافريقي (الذي كتب في مطلع القرن الثالث) «رجلا فاضلا» ، ومن ندمائه برديصان الفيلسوف والاديب . كما أضيفت عناصر أخرى مشوقة الى قصة ابجر ـ ادي، كالمراسلة بين ابجر والمسيح ، وابجر وطيباريوس قيصر روما ، وبركة المدينة ، واكتشاف الصليب ، ورسم المسيح على منديل ، وكلها عناصر ذات أصول ومعان ، لكنها تبتعد عن تاريخية البدايات المسيحية في الرها .

عرفت قصة ابجر ـ ادي في نسخ سريانية عديدة ، منها ما هو قديم جدا ، منذ القرن الرابع . كما عرفت في نسخ يونانية ، وقبطية ، وحبشية ، وعربية ، وفي اماكن متعددة . نلقاها على الرق ، كما على الحجر ، وفي بلاد ما بين النهرين كما في مصر ، ومقدونية ، وشمال الاناضول . ولا عجب ، فان الرها منذ البداية . مهما يكن من امر فان ثمة كنيسة في الرها قبل سنة ٢٠١م وساهمت في نشرها في بلاد المشرق ، فهل يمكن ان ينسب ذلك الى بيئة يهودية او وثنية ؟ لذا ياتي الجواب في القصة من خلال امتيازات نعمت بها الرها منذ البداية . مهما يكن من امر فان ثمه كنيسة في الرها قبل سنة ٢٠١م (تاريخ الرها) ، وططيانس وبرديصان من مشاهيرها (شهادة يوليوس الافريقي) ، وفيها عقد مجمع كنسي عام ٢٤٣ (شهادة اوسابيوس القيصري)، ويذكر ابرسيوس بانه عاين مسيحيين في سهل سوريا ، وجميع المدن ، ونصيبين ، وما وراء الفرات (وشهادته مدونة على حجر تعود الى قبل سنة ٢١٦) .

ولنعد الى ما قلناه زيادة في الوضوح : انه بانتشار المسيحية في البلاد ، عرفت السريانية ، وليدة الارامية ، تطورها اللغوي والثقافي ، وذلك من خلال ظاهرتين مهمتين : استخدام السريانية في الطقوس الكنسية وتعميمها على معظم كنائس المنطقة ، وانشاء المدارس وقيام اساتذة كبار كتبوا بها وعلموا . اضف الى ذلك ظاهرة السريانية كلغة مملكة ، ولو صغيرة .

مدرسة الرها

يعزو بعضهم تاسيس مدرسةالرها الى مار افرام (٣١٠ ـــ ٣٧٣م) ، غير ان الباحثين المدققين ينسبون اليه رفع مستواها الى مصاف عال . اما تأسيسها فاقدم من ذلك [٣٤] .

يسميها تيودوروس المؤرخ « مدرسة الفرس » او « الديداسكوليون المسيحي » [٣٥] . ويعتبر مار افرام اعظم اساتذتها . درس على يعقوب النصيبيني . الامر الذي يضطرنا منذ البداية على تاكيد الترابط ما بين مدرسة الرها ومدرسة نصيبين . ووضع افرام مؤلفات عديدة ، نظمها في نحو مليون بيت شعر . وغدت دستورا لمدرسة الرها ، كما لمدرسة نصيبين ، ردحا من الزمن ، كما اشتهر امرها حتى عرفها اليونان والرومان والاقباط والاحباش والارمن ، وادخلت الكنائس « الشرقية السريانية » العديد من قصائده في طقوسها وصلواتها ، وقد قام الكثيرون بتقصي آثاره ونشرها وترجمتها الى

(٣٤)
Arthur Vööbus, History of the School of Nisibis, CSCO 266. subs. 26, Louvain 1965, p. 8 - 9 .

(٣٥)
Theodorus Anagnostes, Histor. Ecclesiast. excerpta, col 185.

اللغات الاجنبية [٣٦] .

اما الاساتذة الاخرون الذين تعاقبوا على ادارة هذا المعهد الثقافي الكبير، وتركوا لنا كتابات ذات شأن ، فأهمهم : قيورا المفسر (المتوفى سنة ٦/٤٣٧م)، وهو الذي قام باستبدال كتب مار افرام بكتب تيودورس المصيصي (المتوفي سنة ٤٢٨ م) كنصوص مدرسية لطلبة مدرسة الرها ، ويعني هذا تداخل السريانية واليونانية في المنطقة . وخلفه على ادارة المدرسة ربولا المولود في قنسرين من اب وثني وام مسيحية . وهذا ايضاً درس اليونانية بالاضافة الى السريانية ، وانتخب اسقفا للرها عام ٤١٥ م ، فساند هيبا مدير المدرسة في تعميم كتب تيودوروس ، وما عتم ان انقلب الى جانب قورلس الاسكندري ، فترجم بعض كتبه ، وله جملة قوانين للاقليروس والرهبان، ومواعظ وتراتيل. وسنتحدث عنه وعن نرسي العظيم بعد قليل .

ولن نسهو عن الشاعر البليغ اسونا ، مبتكر الوزن العشري ، فقد ذكر فيلوكسينوس المنبجي (المتوفى سنة ٥٢٠) طريقته النسكية ، كما أحيا ذكراه انطون التكريتي الملقب بالبليغ أو الفصيح (المتوفى سنة ٨٥٠) في مصنفه بشأن الاوزان الشعرية. ترك لنا اسونا عدة اناشيد من نوع الميمر والمداريش، طبع منها البطريرك رحماني شيئا ، لكنه نسبه الى مار افرام [٣٧] .

ولنا اسماء اخرى لامعة برزت في تاريخ مدرسة الرها . منهم جثالقة واساقفة اداروا كنيسة المشرق والابرشيات السريانية العديدة . ومنهم كتبة

(٣٦) بالاضافة الى كتاب مهرجان افرام ــ حنين . بغداد ١٩٧٥ . انظر :
I. Ortiz de Urbina, Patrologia Syriaca, Roma 1965, p. 56 - 83 ;
Joseph Melki. S. Ephrem le Syrien, un bilan de l - édition critique,
in : Parole de l'Orient XI (1983) , p. 3 - 88.

(٣٧) غبريال ــ البستاني . الاداب السريانية ، ص ١١٨ ــ ١٢٥ .

كبار ، نذكر منهم معنا ، وكومى ، وبروبا ، ومارون الكاهن ، وعبشـواطا النينوي ، ويوحنا الجرمقي ، وميخا ، وباولا بن فافا من كرخ الاحـواز ، وابراهيم المادي ، وعزليا من دير كفر مارى وغيرهم[٣٨] . وقد كان لاساقفة الرها تأثير كبير على سير امور المدرسة ، مما يؤكد ارتباط الثقافة فيها بالدين.

وكان التعليم فيها يبدأ بتعلم مزامير داود قراءة ولفظا ، ثم تعلم الكتابة والخط ، فقراءة العهدين القديم والجديد ، فطقوس الكنيسة ، وآباء الكنيسة الاوائل . وأهم كرسي في المدرسة للمفسر (مبشقانا) ، لان تفسير الكتاب المقدس كان بمثابة العلم الاسمى ، ويشتمل عى علم الكتاب المقدس بالمعنى الحصري ، كما يشتمل على الفلسفة ، ولاسيـ المنطق ، واللاهوت وسـائر العلوم الدينية ، بالاضافة الى الادب ، واللغة . والصرف والنحو ، والشعر ، والتاريخ ، والخطابة ، والمعاجم ، ومبادىء الحساب والفلك لاستخدامها في احتساب الاعياد والاصوام . وقد نوهنا بأهم النصـوص الرسـمية التي اعتمدتها مدرسة الرها ، فهي كتابات مار افرام . ثم كتابات تيودورسا المفسر أو الشارح[٣٩] . وكانت النزعة الخليطيـة ، Syncretismus) والفلسـفة التوفيقيـة epiclectismus قائمتين في الرها وأطرافها ، انطلاقا من انفتاح المنطقة على أقوام وشعوب كثيرة ، مما يخلق تنسا موسوعيا ، لم تضع فيـه الاصالة ، انما تأكدت عبر مذاهب وأفكار جديدة .

---

(٣٨) نحيل القارىء الكريم الى امهات كتب تاريخ الادب السـريـاني (رايت ، دفال ، شابو ، بومشترك ، ادى شير ، برصوم ، كامـل ـ البـكري ـ رشدي ، غبريال ـ البستاني ، ابونا ، ووربينا والخ) ويؤيـد اختلاف المنشأ وتعدد مواطن الدراسة وتنوع اماكن ممارسة نشاطهم ما نراه بشان الثقافة السريانية .

(٣٩) برحذبشبا اسقف حلوان ، علة تاسيس المدارس (بالسريانية) ؛ طبعة الباترولوجيا ، ص ٣٨٢ .

ترجمات واجتهادات

بعد ان نوهنا ببعض التآليف الموضوعة بالسريانية ، نحاول حصر أهم الترجمات القديمة ، ومعظمها من اليونانية ، فهي التي ستطبع الآثار السريانية بمسحة خاصة . من أقدمها كتاب التجلي (Theophania) وكتاب شهداء فلسطين من تأليف اوسابيوس القيصري ، ومقالة لطيطس من بصرى ضد المانويين ، وكلها محفوظة في مخطوطة لندن برقم ١٢١٥٠ وترجع الى سنة ٤١١ ، ثم تاريخ الكنيسة لاوسابيوس أيضا محفوظ في مخطوطة لينغراد تحمل تاريخ سنة ٤٦٢ . كما قام هيبا وكومى وبروبا وغيرهم بترجمة كتب تيودورس المصيصي في أوائل القرن الخامس ان لم يكن في أواخر الرابع ، نلقى منها شذرات قديمة في مخطوطة لندنية برقم ١٤٦٦٩ من القرن الخامس ، ويعني ذلك ان الترجمات الاخيرة هي منذ عهد المؤلف نفسه . وتشتمل مخطوطة لندن رقم ١١٣٨ على تآليد معلمي المدارس ، وشذرات من ترجمة معنا لكتب تيودوروس وديودورس الطرسوسي (مخطوطة لندن ١٢١٥٦ ، ٨٠ آ — ٨٣ ب) . ويؤكد عبد يشوع الصوباوي في فهرس المؤلفين بأن كتب تيودورس ، وعددها ٣١ مجلدا ، قد نقلت كلها قبل عهد ربولا ، أي قبل وفاة المؤلف ، لكنها ضاعت اثر المشاحنات التي جرت بين نسطور بطريرك القسطنطينية وقورلس بطريرك الاسكندرية ، وتبني مدرسة الرها ، ومدرسة نصيبين ، وكنيسة المشرق ، تعاليم نسطور وتيودوروس . وقد حاول فوبس جرد ما تبقى من آثار تيودورس بالسريانية (٤٠) .

(٤٠) وذلك في الهامش ٣٧ ، ص ١٩ — ٢٠ من كتابه (تاريخ مدرسة نصيبين). اما بشان فهرس المؤلفين لعبديشوع الصوباوي (المتوفى سنة ١٣١٨)، فانظر طبعة السمعاني في المكتبة الشرقية ، المجلد ٣ ، ١ (باللاتينية)، وقد قمت بنقله الى العربية والتعليق عليه ، وهو قيد الطبع .

واذا ما تخطينا الآثار اللاهوتية والكتابية الى الفلسفية ، وجدنا ترجمة سريانية لكتاب العبارة لارسطو (Hermeneutica) وانالوطيقا أو التحليلات الاولى لارسطو (Analytica Priora) وايساغوجي فرفوريوس (Isagoge Porphyrii) مع شروح بروبا (بروبس) . ويؤكد لنا عبد يشوع ان هيبا وكومى وبروبا هم من مترجمي ارسطو ، وذلك في أوائل القرن الخامس[٤١] .

ويؤشر مجمع افسس ، المنعقد عام ٤٣١ ، مرحلة حاسمة في تاريخ المسيحية في الشرق ، اذ جرى نزاع حول الزعامة الكنسية بين الاسكندرية والقسطنطينية ، راحت فيه انطاكية وكنيسة سلوقية ـ طيسفون ضحيته ، اذ استغلت فيه الآراء والمذاهب اللاهوتية والفلسفية حججا ، أيام كان من العسير الاخذ بتعددية الفكر والتفسير ، فلعبت الالفاظ والمصطلحات والترجمات المختلفة دور تشويش ، ووصل الامر الى تحريم اقوال نسطور واتباعه ، حتى انتصر هذا الفريق نوعا ما في مجمع خلقيدونية عام ٤٥١ . ولا يسعفنا المجال ان نأتي على هذه الاحداث المحزنة ، انما يهمنا هنا التأكيد على ان الفكر كان له الدور الكبير في القضية ، الامر الذي يدل على ازدهار الحركة الفكرية في المنطقة عهد ذاك . وقد كان في القلب من المعمعة الناطقون بالسريانية والمراكز والمعاهد السريانية ، اذ سرعان ما تبنى فريق منهم المذهب النسطوري ـ التيودوري القائل بوحدة المسيح مع طبيعتين واقنومين ، بينما تبنى فريق

(٤١) اضافة الى معلومات فوبس ، تاريخ مدرسة نصيبين . ص ١٥ ـ ٢٤ ؛ ودى لاسي اوليرى ، علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ، ص ٦٨ ـ ٦٩ ، والفلسفة السريانية ، ١٤ ـ ٢٢ ؛ انظر : بومشترك ، تاريخ الادب السرياني . الفصل الاول ، وكذلك :
A. Baumstark, Aristotelss bei den Syrern von V — VIII Jahrhundert, Leipzig 1900 etc.

آخر مذهب الوحدة في الطبيعة أيضا أو في المشيئة ، فأثروا على كنائسهم ، وانشقت كنائس المشرق السريانية الى شقين كبيرين : من سمّوا بالنساطرة ، وهم الكلدان والاثوريون حاليا ، ومن سمّوا باليعاقبة ، وهم السريان الارثوذكس والسريان الكاثوليك حاليا ، وتعاطف الاخيرون مع الاقباط والاحباش والارمن ، بينما ترسخت النزعة الاولى في سلوقية ـ طيسفون (المدائن) وما يتبعها من ابرشيات امتدت حتى الهند والصين ومنغوليا وافغانستان وتركستان وغيرها من بلدان . ولقي الاكثر ميلا الى اليونان حلا توفيقيا شجعهم عليه مرقيانوس الملك ، فسموا بملكيين ، وهم الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك حاليا ، بينما نشأت فيما بعد جماعة كنسية تكونت حول دير مار مارون ، فسمّوا بالموارنة[٤٢] .

لا نكير لاثر مدرستي الرها ونصيبين فيما يخص الخلاف المذهبي الذي ألمحنا اليه . فان ربولا اسقف الرها وقف ضد زملائه معلمي المدرسة ، كما يبين هيبا في رسالته الى ماري سنة ٤٣٣ مفيدا بأن الاسقف (ربولا) قد زاغ عن تعاليم الحق[٤٣] ، فانقسمت جماعة الرها الى قسمين ، وحرقت كتب تيودورس ، ولم يسلم سوى شرح التوراة وشرح الانجيل[٤٤] ، وارسل قورلس . خصم نسطور ، كتابا له ترجمه ربولا الى السريانية وغدا المرجع الاساس مدة من الزمن[٤٥] . وتغيرت الامور حين خلف هيبا ربولا على كرسي

(٤٢) عديدة هي الكتب التي تؤرخ هذه الكنائس ، نكتفي بذكر بعض المؤلفين : لوبين ، السمعاني ، الدبس ، ادي شير ، نصري ، تيسران ، اسد رستم ، فيليب طرازي ، افرام برصوم ، جوزيف نصرالله ، جوزيف حجز ، جان فيي . يعقوب الثالث ، اسحق ساكا وغيرهم .

(٤٣) Mansi, Acta Conciliorum, II, III, p. 39 ; Andreas, Epistula, p. 32 .

(٤٤) اندرياس ، الرسالة ، ٦٤٩ .

(٤٥) فوس ، تاريخ مدرسة نصيبين ، ص ٢٦ .

الرها . ونجدنا هنا ازاء تحركات برصوما مطران نصيبين الذي عقد مجمعا في بيت لافاط (الاحواز) عام ٤٨٤ وعمل على قتـل بابوى جاثليق كنيسة المشرق ، وامتد نفوذه حتى بلغ بلاد الشام وفلسطين وفينيقيا وجزيرة العرب والبتراء وسيناء ، وكان قد انتصر منذ مجمع افسس غير القانوني المنعقد سنة ٤٤٩ ، وفيه تمّ عـزل هيبا وأُحل مكانه نـونا ، وكان ميالا الى النورلسيين باعتدال ، ثم عاد هيبا فاسترجع كرسي الرها في مجمع خلقيدونية . ولكن سرعان ما قوي اصحاب الطبيعة الواحدة غربي سـوريا وفلسطين ومصر ، ثم في سوريا والرها عينها .

مدرسة نصيبين

تأسست مدرسة نصيبين اثر هجرة اساتذة مدرسة الرها اليها . وقـد كان فيها قبل ذلك مدرسة كنسية صغيرة ، كما هي الحال في معظم المـدن والقصبات[٤٦] . ونصيبين من المدن المشرفة على الطريق الرئيسي بين شمال ما بين النهرين ودمشق .

واختلف العلماء حول تاريخ هذه الهجرة ، فقال بعضهم انها تمت سنة ٤٣١ ، وقال آخرون انها عام ٤٥٧ ، بينما يفضل غيرهم سنة ٤٨٩ . والارجح انها حدثت ايام قورا ، أي ليس قبل ٤٧١ . ولعل سنة ٤٨٩ هي سنة تجميد مدرسة الرها ، برحيل استاذها الكبير نرسي الى نصيبين . وقد ذكر المؤرخون ان الذين رحلوا معه ناهزوا الثلاثمائة شخص[٤٧] . وتجدر الاشارة هنا الى

(٤٦) بينما يعكس اوليرى الامر ، فيفترض مدرسة في نصيبين أولا ، ثم يجعل انتقالها الى الرها بعد سقوط نصيبين عـام ٣٦٣ (علوم اليونـان ، ص ٦٤ ــ ٦٥) ، غير ان الحجة في هذا هو لا ريب الاستاذ فوبس . الفصل الثاني من تاريخ مدرسة نصيبين .

(٤٧) التاريخ السعردي ، طبعة الباترولوجيا ، ١٣ ، ٥١٠ ــ ٥١١ : والمجدل لعمرو ، طبعة جيسموندي ، ص ٥٢ .

ان تشتت اساتذة مدرسة الرها وتلاميذها عمل على انتشار مدارس عديدة وتقويتها في معظم المناطق الخاضعة لنفوذ كنيسة المشرق[٤٨] .

قصد نرسي نصيبين ، وكان فيها مدرسة صغيرة اسسها شمعون الجرمقي، فوسعها . وجذبت شهرته العديدين اليها ، واعانه في عمه برصوما اسقف المدينة[٤٩] . فغدت معهدا ، بل جامعة مرموقة ، قصدها الكثيرون من بلاد الشام وفارس ، تسعفهم في ذلك الصداقة التي كانت تربط برصوما وفيروز عاهل الفرس ، وميل هـذه المدرسـة الى الشـرق ، لاسيما بعـد ان اغلق الامبراطور الروماني زينون مدرسة الرها .

تعاقب على مدرسة نصيبين بعـد نرسي ، كل من اليشع ، وقوزبايي ، وابراهيم ويوحنا من آل ربن ، وحنانا الحديابي . كما اشتهر من المؤلفـين يوسف حزايا أو الرائي ، ومار آبا الكبير مصلح كنيسة المشرق ، وبولس من دير كفر ماري ، وتوما الرهاوي ، وقيورا ، وايشي ، ومشيوع ، واشعيا التحلي ، ومسكين العربي ، وميخائيل ، وابراهيم بيـه ــ قوذ ، وبرحذبشبا العربي ، وحشا ، وحنا نيشوع ، وبابي الكبير ، وتنئيل الشـهرزوري ، وبرحذبشبا اسقف حلوان ، وايشوعياب الجدالي ، وايشوعياب الحديابي . كما تخرج منها أيضا آقاق الجاثليق ، ويوحنا أسقف بيت سري ، وبولس بن قاقا اسقف الاحواز ، وميخا اسقف لاثوم ، وابشوتا النيوي ، ومعظمهم

(٤٨) يشهد بذلك التاريخ المنحول المنسوب الى مشيحا زخا . والمعروف ايضا بتاريخ اربيل ، طبعة منكنا ، وكذلك تـاريخ برحذبشبا العربي ، وعلـة تاسيس المدارس لبرحذبشبا اسقف حلوان ، والتاريخ السعردي ، وكلها ضمن سلسلة الباترولوجيا ، باريس .

(٤٩) التاريخ السعردي ، ٢ ، ص ٦٠٨ .

من تلاميذ نرسي ، ولهم كتابات في شتى المعارف والعلوم[٥٠] .

وكان يسود المدرسة نوع من شركة الحياة ، ويلتزم الطلبة بالعزوبة أثناء الدراسة ، والاقامة المستمرة فيها ، كما وضعت لهم قوانين خاصة تدفعهم الى المثابرة والجد . وقيل ان عدد الطلبة بلغ أحيانا الثمانمائة ، كما في عهد حنانا الحديابي رئيسها . ولم يرض حنانا بعضهم ، فتركوا المدرسة . ومضوا فأسسوا مدارس وديارات في مناطق شتى ، أشهرها دير مار ابراهيم الكسكري في جبل ايزلا والمعروف بالدير الكبير ، ودير بيث عابي في المرج ، وقد أرخ له توما المرجي في كتاب الرؤساء[٥١] .

وكانت مدرسة نصيبين ، كمدرسة الرها ، كلية لاهوتية بالدرجة الاولى ، وفيها علوم مكملة ، كالفلسفة ولاسيما المنطق ، واللغة ، والخط ، والموسيقى ، والطقوس ، وبعض العلوم التي تخدم هذه الدراسات . وقد دخلت صلاحات على قوانين المدرسة في عهد الجاثليق ايشوعياب الجدالي (٦٢٨ — ٦٤٦) ، واستمرت مزدهرة بعد الفتح العربي حتى ضعفت ، فأعطت مجالا لمدارس اخرى ، لا سيما في العصر العباسي . اما اصل قوانينها المعروفة والمنشورة ، فيرجع الى هوشع مطران نصيبين الذي ثبت ٢١ قانونا وضعها نرسي الملفان ويونان كاتب المدرسة عام ٤٩٦ ، وبعد قرن اضاف اليها قوانين اخرى شمعون مطران نصيبين ، ثم قام ايشوعياب الجدالي باجراء اصلاحات عليها[٥٢] .

---

(٥٠) يبان من هذه القائمة السريعة مدى اهمية المدرسة وسعة انتشار العلوم والاداب السريانية في رقعة كبيرة من البلاد .

(٥١) كتاب الرؤساء لتوما اسقف المرج . طبعة بدج ؛ وترجمة عربية للاب البير ابونا ، الموصل ١٩٦٦ .

(٥٢) نشر كويدي قوانين مدرسة نصيبين ؛ وكتب عنها المطران ادي شير (مدرسة نصيبين الشهيرة ، بيروت ١٩٠٥ ؛ وقد اعادت مجلة قالا سوريايا طبعها بالاوفسيت في العددين ٣٢ ـ ٣٣ ، ١٩٨٤) ؛ كما قام آرثر

ولا مناص لنا من التطرق الى مشاهير هذه المدرسة .

ولد نرسي عام ٣٩٩ في عين دلبى (معلثايا ـ دهوك) ، وبعد دراسة أولية ، قضى عشر سنوات في دير كفر ماري لدى عمه رئيس الدير . وبعد فترة تعليم قصيرة ، قصد مدرسة الرها ، وزار تيودولوس تلميذ ديودورس الطرسوسي ، بمعية زميله برصوما . وأختير مديرا لمدرسة الرها بعد وفاة قيورا عام ٤٣٧ ، وأدارها سنوات حتى لجوئه الى نصيبين بعد سنة ٤٧١ ، حيث تمكن من اعلاء شأن مدرسة نصيبين ، فغدت بفضله أكبر مركز ثقافي عرفته المسيحية السريانية المشرقية ، بل المنطقة بأسرها في تلك الايام . ووضع نرسي ٣٦٠ قصيدة (ميمرا) شعرية ، احصى منها منكنا ٨١ : جلها في موضوعات دينية ، كتابية ، لاهوتية ، فلسفية ، طقسية . وتوفي بعمر ١٠٣ سنوات عام ٥٠٢[٥٣] .

أما برصوما مطران نصيبين فقد عقد مجمعا لكنيسة المشرق في بيت لافاط عام ٤٨٤ شرع فيه امورا سببت خلافات ومشاكل ، وله رسائل تذكرها كتب السنهادوسات (المجامع)[٥٤] .

ولاليشع بر قوزابي شروح بالسريانية كاملة في اسفار العهد القديم ، وفق الترجمة المسماة بالبسيطة (فشيطتا) ، المختلفة عن الترجمة اليونانية

فوبس بتحقيق القوانين ونشرها مع ترجمة انكليزية. وللعلامة شابو ايضا بحث في مدرسة نصيبين كان قد نشره منذ سنة ١٨٩٦ في المجلة الاسيوية ، المجلد ٩ .

(٥٣) بشان نرسي وتلاميذ مدرسة نصيبين راجع تواريخ الادب السرياني . وانظر بشان تآليف نرسي ما نشره منكنا من ميامره في الموصل، ١٩٠٥ ، وفوبس ، مدرسة نصيبين ، ص ٥٧ ـ ١٢١ .

(٥٤) قام Gero مؤخرا بتناول حياة برصوما ونشاطه ، ونشر ذلك في جمهرة لوفان عام ١٩٨١ .

(السبعينية) ، وكتابات ضد المجوس والهراطقة • وكان قد خلف نرسي في رئاسة المدرسة وادارها سبع سنوات (٥٤ مكرر) •

وأدار ابراهيم من آل ربن مدرسة نصيبين مدة ستين سنة ، وهو ويوحنا من قرابة نرسي المعلم (ربن) ، وقيل ان عدد تلاميـــذه بلغ الالف • ونجح في توسيع المدرسة ، بفضل ادارته الحكيمة ، ومع ذلك كان البعض يحاولون الانتقاص منه ومن قيمة المدرسة • وقد فقدت معظم آثاره ، وآثار نسيبه يوحنا ، ومعظمها في شرح الكتاب المقدس ، استفاد منها ايشو عدد الحديثي• ليوحنا كتاب تاريخي تناول فيه غزو كسرى لعرب نجران ، وآخر في الطاعون أو لوباء الكبير(٥٥) • ومن التلاميذ في هذا العهد مار آبا الكبير صــاحب الاصحاحات والرسائل والقوانين ، وتوما الرهاوي الذي له مقالات في بعض الاعياد جدال مع الهراطقة ومقالة في دحض التنجيم ، ورامیشوع مفســر مدرسة المد ، ويوسف الاهوازي مؤلف كتاب النحو السرياني ومقالة في الاسماء المتشابهة ، وغيرهم(٥٦) •

ودامت مدة رئاسة حنانا الحديابي من سنة ٥٧٢ حتى وفاته عام ٦١٠ ، الا ان تعاليمه دفعت بولس مطران نصيبين الى طرده ايام ابراهيم ، فطاف

(٥٤ مكرر) بشان اليشع ، انظر ادي شير ، مدرسة نصيبين، وفوبس . وبشان ترجمات الكتاب المقدس الى السريانية انظر : اوربينا ، باترولوجيا ، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٨ (بيبلوغرافيا) ، وكذلك :

A. Vööbus, Early versions of the New Testament, Stockholm 1954 ;

Id., Studies in the History of the Gospel, CSCO, Subs. III, Louvain 1951 .

(٥٥) فوبس ، مدرسة نصيبين ، ص ١٣٤ ــ ١٢٥ و ٢١١ ــ ٢٢٢ .

(٥٦) ادي شير ، مدرسة نصيبين ، ص ١٦٩ ــ ١٧٦ (طبعة قالا سوريايا) ، وكتاب السنهادوسات بالنسبة لاعمال مار آبا المجمعية .

حنانا في البلاد ، ثم عاد الى نصيبين ، وما لبث ان تسلم ادارة المدرسة بعد ايشوعياب الارزني وابراهيم النصيبيني ، اللذين دامت رئاستهما أقل من ثلاث سنوات . وقال ماري في مجدله ان عدد تلاميذ حنانا بلغ الثمانمائة ، وقيل أقل . وسببت تعاليمه سجسا في كنيسة المشرق ، فقد قال بالقدر وانكر قيامة الاجساد والدينونة والعقاب الابدي ، كما نسب اليه بابي آراء اخرى يبدو انه لم يأت بها ، انما ابتعاده عن تعاليم تيودورس المصيصي بشان الاتحاد في المسيح جعل الآخرين ينهضون ضده ، وقد تبعه في ذلك سهدونا واشعيا التحلي . مهما يكن من امر فان غريغوريوس الكسكري مطران نصيبين حرم حنانا ، بينما دعمه سبريشوع الجاثليق ، فشق ذلك على تلاميذ المدرسة ممن كانوا ضد حنانا ، فخرجوا من المدينة ، وكان عددهم نحو ثلاثمائة نفر ، فقصد بعضهم دير مار ابراهيم الكسكري ، وآخرون بلد (اسكي موصل) ، ففتح لهم اسقفها مرقس مدرسة علموا فيها ، وكان ذلك سنة ٥٨٢ ، ومن المشاهير ايشوعيب الجدالي وبرحذبشبا العربي وايشوعيب الحديابي وميخائيل الملفان وبولس المفسر .

ومنذ ذلك الحين انحط مستوى مدرسة نصيبين ، واراد حنانا تدارك الامور ، فاجرى تعديلات على قوانين المدرسة ، ثبتها شمعون مطران نصيبين الجديد ، الا انها لم تف بالغرض . وكانت تآليف حنانا كثيرة جدا ، جلها في تفسير الاسفار المقدسة وشرح الاسرار وقصائد في الاعياد لم تصلنا منها سوى مقالتين في الطلب (الباعوثا) وجمعة الذهب [٥٧] .

ونؤكد مرة اخرى بان الفكر الذي ساد في الرها ونصيبين مشرقي متأثر بالهلينية ، وقد كان له اثر كبير على الفكر البيزنطي ، اذ تكشف

(٥٧) نوبس ، ص ٢٤٣ — ٢٧٥ .

الدراسات يوما بعد يوم عن ثروة طائلة ، رغم فقدان معظم النتاج الثقافي بسبب الخلافات والمشاحنات والحروب ، ويتضح يوميا ان الناطقين بالسريانية لم يكونوا نقلة وحسب ، اذ قاموا بوضع مصنفات فكرية وعلمية ، كما دبجوا شروحا وتفاسير واختصارات وجوامع ، تنم كلها عن ابداع ورقي . وما استعراض هاتين المدرستين سوى تدليل على الاوج الذي بلغته الثقافة السريانية ، واغنت به المنطقة والعالم ، فقد خلقت مدرستا الرها ونصيبين جيلا ملا من الاساتذة والعلماء ، ومكتبة فكرية غنية بالمعرفة ، في فترة مبكرة بحيث يمكن اعتبارهما رائدتين عظيمتين .

لم يقتصر نشاط هذين المركزين وغيرهما على المعرفة والعلم ، بل تعداه الى سائر مجالات الحياة العمرانية ، الفنية ، الصحية وغيرها . فان اسقف الرها نونا اقام بيمارستانا في المدينة في اواسط القرن الخامس قرب بوابة شمش . ونلقى نافورات اسماك في كل من الرها ، وحران ، وتدمر ، ومنبج . ويسمي مار افرام مدينة الرها « ام الحكمة .. والشفاء » في اناشيده النصيبينية . وكان جبرائيل بن روفينا مطران نصيبين منكبا على علم الفلك والتنجيم . وقام ابراهيم ربن بتشييد ابنية كثيرة ابان رئاسته لمدرسة نصيبين ... (٥٨)

مدرسة جنديسابور

بيت لافاط او جنديسابور ، عاصمة عيلام او الاحواز، قريبة من السوس (سوسه) مشتى ملوك الفرس سكنها العديد من الاسرى الذين وقعوا في أيدي الفرس من جيش فاليريان سنة ٢٥٨م ، اذ كلفوا بانشاء جسر كبير على نهر الدجيل ، واقامة منشآت اخرى بصفتهم من المهرة ، فاكرمهم سابور الاول

(٥٨) سيكال ، اديسا . ص ٧١ ؛ ادي شير ، مدرسة نصيبين ، ص ١٨٤ .

واسكنهم جنديسابور ومدينتين اخريين ، واباح لهم ممارسة شعائرهم الدينية وبناية كنائس ، ويفيدنا التاريخ الكنسي بانه كان في جنديسابور ، كما في اماكن اخرى ، كنائس تجرى فيها الطقوس والشعائر بالسريانية ، وكنائس باليونانية لهؤلاء الروم ، كما في مدينة بارانيشهر (٥٩) ، حتى أهملت اليونانية واصبحت السريانية وحدها لغة التعليم (٦٠) . وسرعان ما غدت جنديسابور مركزا ثقافيا مرموقا ، اذ ابدى سابور عناية كبيرة بجمع الكتب العلمية ، اليونانية والهندية ، ونقلها الى الفهلوية . وكان دورسوس السرياني واحدا من هؤلاء النقلة(٦١) . واقتفى سابور الثاني أثره ، وكذلك كسرى انوشروان . وننوه هنا ايضا بان الاهالي كانوا يتكلمون برطانة خوزستان (٦٢) ، كما كان (السورث) شائعا في معظم اوساط من نسميهم عادة بالناطقين بالسريانية .

وتريد احدى الروايات ان يكون احد اسرى الروم بطريرك انطاكية ديمتريانس نفسه ، في القرن الرابع ، كما ان البطريرك اثناسيوس الجمال (٥٩٥ ــ ٦٠٤) قدم المشرق لتدشين كنيستين شيدهما كسرى الثاني لزوجته شيرين (٦٣) ، وكلتا الحادثتين تدلان على وجود علاقات ثقافية وكنسية بين المشرق والغرب اليوناني والبيزنطي . وقد كان كسرى انوشروان (٥٣١ ــ ٥٧٨) شديد الاعجاب بالثقافة اليونانية ، رغم منازعته مع الروم ، لذا نراه يرحب بالفلاسفة والعلماء الذين تشتتوا اثر اغلاق جستنيان مدرسة آثينا ،

(٥٩) التاريخ السعردي ، ٤ ، ص ٢٢٠ ــ ٢٢١ .
(٦٠) اوليري ، علوم اليونان ، ص ٩٥ .
(٦١) الفهرست لابن النديم ، ص ٣٤٨ .
(٦٢) ابن حوقل ، صورة الارض ، ٢ ، ص ١٠٩ .
(٦٣) بحثي ، ملامح خليجية ثقافية ، ص ٣٣ و ٣٦ ــ ٣٨ ، وكذلك :
J. M. Fiey, Communautés syriaques en Iran et en Irak, London (Variorum) 1979, III, p. 227 - 234 .

فقد اسكن سبعة من فلاسفة المذهب الافلاطوني الجديد في قصره عام ٥٢٩ . واحتضن اكاسرة الفرس اساتذة المدارس السريانية المشرقية ، عندما اغلق زينون مدرسة الرها . وفي ايام هرمزد الرابع ابن كسرى انوشروان (٥٧٩ - ٥٩٠) يقدم لنا التاريخ الرهاوي طيمثاوس النصيبيني كرئيس للاطباء ، وجبرائيل السنجاري رئيس اطباء دروستباد الذي فصد شيرين فشفاها ، ونال حظوة لدى الملك(٦٤) فسعى في بناية الكنيستين المذكورتين أعلاه .

قامت في جنديسابور مدرسة شبيهة بمدرسة الاسكندرية ، عرفت فيها مصنفات ابقراط وجالينوس ، ومؤلفات هندية . فقد ارسل الملك كسرى الاسـ بود الى الهند. ويعزى الى بود كتاب الف ميجن Alpha to Mega وشرح لكتاب الاول من الطبيعة لارسطو ، وترجمة سريانية لكتاب هندى عرف فيما بعد بكتاب (كليلة ودمنة)(٦٥) . ونلقى في هذه الفترة ترجمات فارسية لبعض كتب ارسطو وافلاطون .

وعاش بولس الفارسي (المتوفى سنة ٥٧١) في عهد كسرى ، ويقول عنه ابن العبري انه كان متفوقا في الابحاث الفلسفية والكنسية ، فكتب مقدمة لجدل ارسطو (الديالكتيكا) ، وله بحث في المنطق أهداه الى كسرى(٦٦) .

وهكذا التقت في جنديسابور الحكمة المشرقية القديمة بالفكر الهندي واليوناني والفارسي والسرياني ، ونشطت العلوم فيها ، وصار الاهتمام

(٦٤) التاريخ الرهاوي او التاريخ الصغير ، ترجمة الاب د. بطرس حداد ، بغداد ١٩٧٦ ، ص ٥٨ و ٦٥ ، وكان كويدي قد نشره في جمهرة لوفان مع ترجمة لاتينية .

(٦٥) انظر : فهرس عبديشوع ، ص ١٥٨ ، طبعة السمعاني ، وانظر : رايت ، مختصر تاريخ الادب السرياني (بالانكليزية) ، ص ١٢٤ .

(٦٦) مخطوطة المتحف البريطاني رقم ١٤٦٦٠ ، نشرها لاند ، ٤ ، ص ١ - ٣٢ . انظر : بومشترك ، تاريخ الادب السرياني ، ص ١٢١ .

بزراعة قصب السكر حول المدينة ، كما قامت فيها مدرسة فلكية ومرصد ، وقد كانت دراسة الرياضيات جزءا من علم الفلك (٦٧) . واشتهرت جنديسابور ببيمارستن لمعالجة المرضى وتعليم الطب ، سوف يبرز فيه آل بختيشوع وآل ماسويه . وكان الاعتماد على كتب جالينوس بالدرجة الاولى .

مدرسة ميافارقين

كانت ميافارقين ، او ميافرقاط ، الحد الفاصل بين البيزنطيين والساسانيين ، وقد سميت مدينة الشهداء لكثرة الشهداء فيها ولجمعها رفات العديد منهم وسيرهم . ويمر بميافارقين الطريق الى دارا ونصيبين وقرقيسيا حتى خليج العقبة . وقد برز فيها ماروثا اسقفها في أواخر القرن الرابع، ارسله اركاديوس (٣٩٥ ــ ٤٠٨) اول اباطرة البيزنطيين الى ملك الفرس يزدجرد الاول ، ثم عاد فارسله تيودوسيوس الثاني الى العاهل نفسه ، فنقل الى كنيسة المشرق التي كان كرسيها في سلوقية ــ طيسفون قوانين مجامع كنيسة الغرب، لاسيما مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ ، واشترك مار ماروثا في مجمع اسحق عام ٤١٠ (٦٨) ، وقد نقل كتاب الشهداء او القسم الاول من سير واعمال شهداء الشرق (٦٩) وينسب اليه شرح لدياطسرون ططيانس ، كما قام في ميافارقين علماء آخرون (٧٠) .

---

(٦٧) اوليري ، ص ٥٠ .

(٦٨) السنهادوسات ، طبعة شابو ، باريس ١٩٠٢ ، ص ١٧ ــ ٣٦ (النص) ، ٢٥٣ ــ ٢٧٥ (الترجمة الفرنسية) :
Synodicon Orientale, ed. J. B. Chabot, Paris 1902

(٦٩) طبعة الاب بولس بيجان في سبعة مجلدات (وقد اعيد طبعها بالاوفسيت في هيلديسهايم) .

(٧٠) كنز وآثور ، للمطران ادي شير ، ج ٢ ، بيروت ١٩١٣ ، ص ٩٩ ــ ١٠٣

مدرسة مرو

واذا ما ابتعدنا الى مرو في خراسان ، نلقى مار آبا الجاثليق (٥٤٠ ـ ٥٥٢) تلميذ مدرسة نصيبين ، ينصب عليها اسقفا نيودور ، وذلك سنة ٥٤٠ . وهذا تلميذ سرجيس الرسعني ، وكمعلمه من دارسي منطق ارسطو . وكان جبرائيل اخو تيودور المروزي اسقفا على هرمزد اردشير وضع شروحا على الكتاب المقدس ورسالة ضد المانويين واخرى ضد المنجمين(٧١) . وقامت في مرو « مدرسة لاهوتية وفلسفية مهمة ، برز فيها تيودوروس المروزي ... ثم ايليا مطران مرو » ، كما انها انجبت عدة علماء معروفين(٧٢) .

مدرسة حران

تريد الرواية الشائعة بانتقال الطب والعلوم من الاسكندرية الى انطاكية في عهد عمر بن عبدالعزيز ان تكون حران حلقة الوصل ، او ان لها على الاقل دورا ذا شأن في ذلك(٧٣) . وحران بين الرها ورأس العين ، وعاصمة امارة فدان آرام ، ومركز آرامي ثقافي ، سكنها يونانيون في عهد الاسكندر ، فاتصلت حضارتها المشرقية القديمة ، بما فيها النظريات الرياضية والعلوم الفلكية ، بتعاليم المذهبين الفيثاغوري الجديد والافلاطوني المحدث . جل مشاهيرها من الناطقين بالارامية ـ السريانية ، سوف يبرز من بينهم سلم صاحب بيت الحكمة ببغداد ، وثابت بن قرة ، وسنان ابنه وغيرهم . ولم يعتنق

---

٧١) بومشترك ، تاريخ الادب السرياني ، ص ١٢٢ ؛ السنهادوسات ٦٨ ـ ٩٥ ، ٣١٨ ـ ٣٥١ ، ٥٤٠ ـ ٥٦١ ـ وقد نشر بيجان حياة مار آبا ، وكتب عنه لابور باسهاب .

٧٢) بحثي ، يوحنا بن حيلان معلم الفارابي في المنطق ، مجلة بين النهرين ٣ (١٩٧٥) ، ص ١٣٢ .

٧٣) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

الحرانيون المسيحية بل بقوا على دينهم القديم(٧٤) .

مركز الحيرة

وبالسريانية (حيرتا) أي المخيم أو المعسكر ، جنوب العراق ، وعاصمة المناذرة . كان يسكنها عرب ونبط واقليات ، وكانت ملتقى حضارات قديمة ، اشتهرت بقصورها ، وفيها كتب التلمود البابلي في القرن الخامس الميلادي ، وربما منها انتقلت مؤثرات ارامية ــ سريانية الى جزيرة العرب ، وقد ضعف شأنها حين بنيت الكوفة على مقربة منها ، ولكنها ستنجب اسحق وابنه حنين أعظم مترجم عرفه التاريخ . كما سينطلق منها رهبان يشيدون ديارات حتى في نينوى كايليا الحيري باني دير مار ايليا المعروف بدير سعيد بجوار الموصل . وايليا هذا تلميذ مدرسة نصيبين ، وكان قد تروض في الاسفار البيعية في كنيسة الحيرة ، وترهب في دير مار ابراهيم الكسكري سنة ٥٧١م(٧٥) .

مركز بصرى

احدى عواصم الغساسنة ، منافسي المناذرة . وبينما كان المناذرة أقرب الى تراث المشرق ، تأثر الغساسنة بالبيزنطيين بدرجة كبيرة . وكانت بصرى ملتقى شبكة طرق رومانية ، وسوقا تجاريا نبطية . واتخذ الغساسنة عدة عواصم في فلسطين والاردن وأطراف الشام ، وشيدوا الاديرة وأقاموا المدارس، وكانت مراكزهم تجذب شعراء الجاهلية ، فتسربت منها ، مثلما تسربت من الحيرة ، الى العربية ألفاظ ارامية ــ سريانية . واستعان المسلمون بالغساسنة

---

(٧٤) يوحنا بن حيلان : ص ١٣١ ــ ١٣٢ . السريان زغلول . ص ٥١ ــ ٥٥ .
(٧٥) بشأن ايليا الحيري وديره انظر : دير مار ايليا ، مجلة بين النهرين ٢ (١٩٧٤) ، ص ٢٦٨ ــ ٢٧٣ . وسيأتي ذكر حنين ابن اسحق فيما يلي .

لبناء الجوامع والمساجد والقصور في عدة مدن سورية[٧٦] .

مدرسة راس العين

لو لم يقم في رأس العين عدا سرجيس لحق لها ان تفخر بمكانة مرموقة في تاريخ الثقافة والعلوم . درس سرجيس فيها اولاً ، ثم في الاسكندرية ، ونقل العديد من كتب الفلسفة والطب ، من اليونانية الى السريانية وهو مايزال شابا ، فجاءت ترجماته ركيكة ، كما يؤكد حنين في رسالته الى علي بن يحيى[٧٧] . اشتملت الكتب التي وضعها ونقلها سرجيس على الطب ، أشهرها مجاميع الاسكندرانيين وكتب ابقراط وجالينوس ، وكتب المنطق لارسطو ، « مع سذاجتها وتفاهتها فقد كانت كافية لنشر العلوم الطبية الاغريقية واذاعتها في غربي آسيا لاكثر من قرنين »[٧٨] . فسرجيس أهم من نقل مصنفات يونانية الى السريانية حتى أيامه ، لاسيما في مجال العلوم والفلسفة[٧٩] ، كما كان رئيس أطباء رأس العين (ثيودوسيو بوليس) ، طلق اللسان ، قام بشرح الكتب المنحولة باسم ديونيسيوس الاريوفاغي في الطغمات والمراتب السماوية والكنسية وأسماء الله واللاهوت التصوفي ، اعتمدها معارضو المجمع الخلقيدوني واضافوا اليها رسائل منحولة روجت تعاليم سويريوس الانطاكي في سوريا[٨٠] . اتخذه البطريرك افرام الانطاكي رسولا للوحدة

(٧٦) فيليب حتي ، تاريخ العرب ، مطول ، ط ٤ ، ج ١ ، ص ١٥١ .

(٧٧) طبعة برجشتراسر ، ليبسيك ١٩٢٥ (وقد اعاد طبع هذه الرسالة الدكتور عبدالرحمن بدوي في : دراسات ونصوص ، بيروت ١٩٨١) .

(٧٨) ماكس مايرهوف ، العلم والطب ، في : تراث الاسلام ، ط ٣ ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ١٧٢ .

(٧٩) بحثي ، سرجيس الراسعيني . مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٣٢ (١٩٨١) ، الجزءآن ٣ - ٤ . ص ٢٦٥ - ٢٨٨ .

(٨٠) اوليري ، ص ١٠٥ .

بين الاطراف المتنازعة لاهوتيا ، فأوفده الى اغابيطس بابا روما ، فاقتنع هذا بالمجيء الى القسطنطينية للتباحث مع امبراطور الشرق يوسطينيانس الصغير، وقد توفي سرجيس في القسطنطينية عام ٥٣٦م . له خطاب في الايمان ، وحوار في النفس ، وشروح لمقولات ارسطو ، وجدله ، والانالوطيقا الاولى ، والكل ، والسلب والايجاب ، وعلل العالم ، عدا الترجمات العديدة .

مدارس ومراكز اخرى

لم يهتم الفرثيون والساسانيون بالعلوم اهتمام اليونان . ولم يفرض الفرس لغتهم على أهالي المناطق التي خضعت لهم ، فكان ان نشطت السريانية، والفضل الكبير في ذلك تبنيها من قبل جملة كنائس ، منها كنيسة المشرق التي وحدت صفوفها في شخص جاثليق سلوقية ــ طيسفون في القرنين الثالث ــ الرابع للميلاد . وانتشرت في طول البلاد وعرضها ، وكانت تقيم المدارس بجانب الكنائس والاديرة [٨٠مكرر] فقامت في سائر مدرسة حذت حذو مدرستي الرها ونصيبين ، وقد حاول مار آبا اصلاحها ، الا انه اصطدم بالمعارضة . وكانت مدارس الكنائس عادة اشبه بالكتاتيب ، يتعلم فيها الصغار مبادىء القراءة والكتابة والدين والاخلاق والطقوس وبعض العلوم الاولية. وليس بنادر ان يبرز في بعضها ، كما في الديارات ، معلمون كبار ومؤلفون شهيرون . كما كانت الكنيسة تعنى باقامة مستشفيات لمعالجة المرضى[٨١] .

وما يزال ثمة غموض يكتنف تشييد مدرسة كوخي ، قرب سلوقية ــ طيسفون . وقد كشفت حفريات متاخرة عن بقايا كنيسة يفيدنا التاريخ انها

(٨٠مكرر) ذكر ياقوت اديرة عديدة في معجم البلدان ، وكذلك آخرون ، وكان في كل دير مكتبة ومدرسة .

(٨١) دفال ، اديسا ، ص ٤ ؛ لابور ، ص ٥ ؛ رفائيل بابو اسحق ، مدارس العراق قبل الاسلام . بغداد ١٩٥٥ ، ص ٣٩ ــ ٤٥ .

موقع كرسي بطريركية المشرق [٨٢] .

وقامت في دير قنى (قرب العزيزية مدرسة) مدرسة عرفت باسم (اسكول مار ماري) ، لم تقتصر الدراسة فيها على العلوم الدينية وحدها ، انما شملت المنطق والفلسفة . ومن خريجيها المتأخرين ابو بشر متى بن يونس رئيس المنطقيين . ودرس فيها ايضا الراهب عبدا (عبديشوع القناني) ، الذي أنشأ ديرا في قرية قنى ، ألحقت به مدرسة بلغ عدد اساتذتها الستين ، وذلك منذ أواخر القرن الرابع ، بحيث دفع مؤلف التاريخ السعردي الى ان يقول مبالغ في الامر « واستغنى من يريد التعلم باسكوله عن الخروج الى الرها » [٨٣] . وتخرج من هذه المدرسة عبديشوع من ميسان في أواخر القرن الرابع ، ومار أحا الجاثليق المتوفى سنة ٤١٥ ، وهو احد جامعي سير شهداء الاضطهاد الاربعيني (٣٣٩ ـ ٣٧٩) وكاتب سيرة استاذه عبدا . ومن خريجيها ايضا الجاثليق يبالاها الذي سار بامر يزدجرد الى القسطنطينية لعقد الصلح مع تيودوسيوس الثاني وأفلح في مهمته ، وشيد ديرا في منطقة بابل ، وآخر على شاطىء دجلة بلغ عدد رهبانه الاربعمائة كانوا يتلون صلواتهم بعدة لغات : السريانية واليونانية واللاتينية والقبطية ، واقاموا فرقتين تلازمان العناية بالمرضى وخدمة الغرباء في ماواهم (كسينودوكيون) . وعقد يبالاها مجمعا في المدائن عام ٤٢٠ سن فيه جملة تشريعات قانونية [٨٤] . واستولى

---

(١٢) بشأن تاريخ كنيسة المشرق (سلوقية ـ طيسفون) انظر خاصة :
E. Tisserant, Nestorienne (Eglise) , DTC, XI, 1, 1931, coll. 157 - 323 ;
J. M. Fiey, Jalons pour une histoire de l'Eglise en Iraq, CSCO 310, Subs. 36, Louvain 1970 .

(١٣) التاريخ السعردي ، ١ ، ص ١٩٥ .

(١٤) السنهادوسات طبعة شابو ، النص ٣٧ ـ ٤٢ ، والترجمة ٢٧٦ ـ ٢٨٤ .

الخراب على مدرسة مار عبدا ابان اضطهاد فيروز (٤٥٧ ــ ٤٨٤) الذي أمر باستئصال شافة الكنائس والاديرة [٨٥] .

وازدهر في عهد الساسانيين والعباسيين ، غربي بغداد ، دير كليليشوع المعروف بدير الجاثليق ، وذاع صيت مدرسته التي كان يكمل فيها الدراسة الكثيرون ممن تقلدوا مناصب كنسية مرموقة [٨٦] .

وذاع خبر دير مار فثيون منذ القرن الخامس ، ويقع اطراف قرية سونايا، المحلة العتيقة من بغداد ، وفيه مدرسة لاهوتية وعلمية [٨٧] .

اما أعظم مدارس المدائن ، فهي التي شادها الجاثليق مار آبا (المتوفى سنة ٥٥٢) ، نشطت بعد انضمام العديد من اساتذة مدرسة نصيبين اليها . من اساتذتها ايوب (المتوفى نحو ٥٨٢) ، وايشى (اواخر القرن السادس) ، والجاثليق غريغور (المتوفى سنة ٦٠٩) الذي عقد مجمعا كنسيا عام ٦٠٥ فيه جرى التاكيد على ضرورة قبول تعاليم تيودورس ، ضد حنانا الحديابي [٨٨]. ونبغ كذلك الجاثليق صليبا زخا المتوفى سنة ٧٢٨ ، وسبريشوع مهران باجرمي من القرن السابع وآخرون .

واشتهر قرب ساليق (سلوقية) سمعان اسقف بيت ارشام ، المتوفى سنة ٥٤٨ ، وكان متبحرا بمنطق ارسطو وضليعا بالجدل ، جاب بلاد ما بين النهرين يجادل النساطرة واتباع اوطيخا والمانويين حتى لقب بالمجادل الفارسي، فهو من المدافعين عن مذهب الطبيعة الواحدة في بلاد فارس [٨٩] ، زار الحيرة

---

(٨٥) المجدل لماري ، طبعة جيسموندى ، ص ٤٢ .

(٨٦) كوركيس عواد ، ديارات بغداد القديمة ، مجلة مجمع اللغة السريانية ، المجلد ٣ (١٩٧٧) ، ص ٩٣ ــ ١٠٠ .

(٨٧) عواد ، ديارات بغداد القديمة ، ص ١٠٩ ــ ١١٣ .

(٨٨) بشان هولاء ، انظر كتب تاريخ الادب السرياني ، وكتب تاريخ كنيسة المشرق ، وفوبس ، ٢٤٣ ــ ٢٧٥ .

(٨٩) اوليرى ، ص ١١٨ .

والقسطنطينية عدة مرات ، ومات في المدينة الاخيرة وهو يتبادل الرأي مع الامبراطورة تيودورة ، وكتب جملة رسائل ، سلمت منها اثنتان ، يطلعنا في احداهما بأسلوب تهكمي على قصة ظهور المبدأ النسطوري ، بينما تسرد الثانية خبر اضطهاد مسيحيي نجران على يد الملك اليمني اليهودي ذى نواس عام ٥٢٣ (٩٠) .

وانجبت منطقة كسكر قرب واسط مشاهير أهمهم ابراهيم الكسكري، المتوفى سنة ٥٨٨ ، مجدد الرهبانية في كنيسة الشرق ، وصاحب القوانين الكنسية • ديره ، الملقب بالكبير ، في جبل ايزلا قرب نصيبين ، من اشهر الديارات واعظمها ، انجب فقهاء وادباء كثيرين (٩١) .

ودرس غريغور مطران نصيبين، المتوفى سنة٦١٢ . في سلوقية ونصيبين، وعلم في حزة ، وأسس في كسكر مدرسة كبيرة . وله كتب تاريخية ودينية (٩٢) .

وليس لنا ان نعتمد (تاريخ اربيل) الذي انتحه الفونس منكنا باسم مشيحا زخا ، وفيه شواهد على ازدهار الديارات والمدارس في منطقتي حدياب ونينوى • وثمة مصادر تؤيد ذلك ، ككتاب الديورة لايشوعدناح البصري، والرؤساء لتوما المرجي ، وحياة يوسف بوسنايا تاليف تلميذه ابن كلدون ،

---

(٩٠) البطريرك افرام برصوم ، اللؤلؤ المنثور . ط ٣ . عداد ١٩٧٦ ، ص ٢٥١ – ٢٥٢ .

(٩١) بشان الرهبانية وابراهيم الكسكري ، انظر :
A. Vööbus, History of Ascetism in the Syrian Orient, I - II, CSCO, Subs. 14, 17, Louvain 1958 et 1960 ; Id., Syriac and Arabic Documents, Stockholm 1960 ; J. M. Fiey, Jalons pour une histoire de l'Eglise neen Iraq, chap. V.

(٩٢) اوربينا ، باترولوجيا ، ص ١٤٩ .

وقصة الربان برعيتا وغيرها من مصنفات (٩٣) .

ومن مشاهير هذه الاديرة والمعاهد سركيس وبولس تلميذا مار آبا الكبير . فقد شرح سركيس اسفار الانبياء ارميا وحزقيال ودانيال ، اما بولس النصيبيني فعلم في مدارس اربيل اكثر من ثلاثين عاما ، وسار عام ٥٣٢ الى بيزنطية ، بدعوة من الملك يوستينيانس ، ليلقي محاضرات فلسفية وشروحات كتابية على جماعة البلاط ، وللتجادل في المسائل الدينية التي جمعت في كتاب محفوظ في مخطوطة لندنية برقم ١٤٥٣٥ ، وله بحث مقتبس من تعاليم ديودوروس هو بمثابة مدخل الى الكتاب المقدس ، وآخر في ضوابط الشريعة الالهية (٩٤) .

ونلقى دير مار متى في جبل مقلوب في نينوى ، تأسس في القرن الرابع، وبلغ عدد رهبانه زهاء الالف ، وانجب بطاركة ومفارنة واساقفة عديدين، منهم ماروثا التكريتي ، المتوفى سنة ٦٤٩ المولود في شرزاق قرب بلد . درس في عدة مدارس مشرقية ، وعاش عشر سنوات في دير مار زكى ، وقفل الى دير مار متى حيث علم اللاهوت حتى انتخابه مفريانا على تكريت . كتب عن تاريخ النسطورية في بلاد المشرق على يد برصوما مطران نصيبين ، وله موعظة كما تنسب اليه نافورة قداس (٩٥) .

وأسس ابراهيم النتفري عدة مدارس في حدياب في اواسط القرن السادس ، بعد ان عاش في صعيد مصر ردحا من الزمن ، ووضع تآليف في

(٩٣) فوبس ، تاريخ التصوف ، والفصل الخامس من تاريخ كنيسة العراق للاب فيي (الهامش ٩١) .

(٩٤) فوبس ، وثائق سريانية وعربية (الهامش ٩١) .

(٩٥) اوربينا ، ص ١٧٥ .

الحياة الرهبانية والتصوف [٩٦] .

وولد سهدونا في هلمون (نوهدرا ـ دهوك) ودرس في مدرسة نصيبين ، ثم اعتزل في جبل ايزلا ، واختير اسقفا على ماحوزا (باجرمي) نحو سنة ٦٤٠/٦٤٥ ، وابعد بسبب افكاره المناوئة لنسطور ، فقضى حياته بالزهد، ووضع كتابات روحية ونسكية نشرها بيجان وده هاليه [٩٧] .

واشتهر في العهد عينه اسحق النينوي الذي طبقت شهرته الآفاق ، فترجمت آثارهالتصوفية واللاهوتيةالى اليونانية والقبطية والعربية واللاتينية. أصله من قطر ، واختاره غريغور الجاثليق (٦٥٨ ـ ٦٨٠) اسقفا على نينوى، لكنه ما لبث ان عاد الى الحياة الرهبانية في السوس ، ثم في دير الربان [٩٨].

لكنه ما لبث ان عاد الى الحياة الرهبانية في السوس ، ثم في دير الربان سابور [٩٨] .

دير الربان سابور :

لعله « دير سبر » الذي وصفه الشابشتي في « الديارات » (ط ٢ ، ص ٥٤ ـ ٦١) ، وياقوت الحموي في « معجم البلدان » (٢ [ليبسك ١٨٦٧] ص ٦٦٦) ، وابن فضل الله العمري في « مسالك الأبصار » (١ : ٢٧٨ ـ ٢٨٠) .

ولمع كذلك نجم يوسف الرائي (حزايا) في منتصف القرن السابع .

(٩٦) بومشترك ، ص ١٣١ ، اوربينا ، ص ١٣٦ .

(٩٧) A. de Halleux, Oeuvres spirituelles (Sahdona = Martyrios) CSCO 86, Louvain 1960, 87 (1960); Id., La vie mouvementée d' un' hérétique de l'Eglise nestorienne, OCP 24 (1958), p. 93 - 128. Cfr. : OCP 23 (1957) , p. 5 - 32 .

(٩٨) انظر ما نشره له الاب بيجان ، ليبسيك ١٩٠٩ ، وايضا : J. B. Chabot, De S. Isaac Ninivitae vita, scriptis et doctrina, Paris 1892 .

ترهب في دير الانبا صليبا ، ثم في دير مار بسيما ، واخيرا في دير الربان بختيشوع . وضع تاريخا وكتاب مختارات اسماه « فردوس المشارقة » على غرار « فردوس المغاربة » . وله شروح وخطب وأقوال رهبان مشاهير ، منهم اواغريس كما في مخطوطة سعرد ٧٨ ، ١ . وقد حفظت لنا رسالتان من تآليف نشرهما منكنا . وقد أتهم بقوله بوجود المسبق للانفس وعدم جدوى الصلاة اللفظية والعمل اليدوي [٩٩] .

وأسس ميخائيل الملقب برفيق الملائكة ديراً بجوار الموصل في المائة الرابعة للميلاد ، قامت فيه مدرسة نبغ فيها علماء ومؤلفون[١٠٠] . وفي اواسط القرن السابع أسس مار كبرييل (جبرائيل) ديرا بجوار الموصل عرف باسمه وباسم راهب آخر يدعى ابراهيم . واشتهر بلقب « الدير الاعلى » ، اذ قامت فيه أكبر عملية تنظيم لطقوس كنيسة المشرق وذلك بفضل مدرسته « أم الفضائل » ، ومن علمائها في القرن العاشر عمانوئيل برشهاري صاحب الهكساميرون[١٠١] ، وللجاثليق يشوعيب الحديابي (المتوفى سنة ٦٥٧/٦٥٨) له يد في الاصلاحات الطقسية التي تحمل اسم الدير الاعلى ، وايشوعيب هذا تلميذ يعقوب مؤسس دير بيت عابي ، قرب عقرة ، وتلميذ مدرسة نصيبين ، صار اسقفا على نينوى ، مطرانا على حدياب ، ثم جاثليقا لكنيسة المشرق منذ سنة ٦٥٠ ، وله عدة رسائل نشرها روبنس دفال [١٠٢] .

وأشتهرت أية واحدة بمدارسها وأديرتها ، فنبغ البطريرك اثناسيوس

---

(٩٩) بومشترك ، ص ٢٢٢ ــ ٢٠٣ .

(١٠٠) J. M. Fiey, Assyrie chrétienne, II, Beyrouth 1966, p. 660 - 672 .

(١٠١) كتابي ، الدير الاعلى وكنيسة الطاهرة مريم ، الموصل ١٩٦٩ .

(١٠٢) R. Duval, CSCO, tex., 1904, vers. lat. 1905 : Epistulae

البلدي المتوفى سنة ٦٨٦ الذي قرأ على ساويرا سابوخت في ديـر قنسرين ، ونقل الايساغوجي وكتابا فلسفيا آخـر ومؤلفات غريغوريوس النزينزي من اليونانية الى السريانية (١٠٣) . واحتضنت مدرسة بلد بعض تلاميذ مدرسـة نصيبين بعد ان تم غلقها ، أهمهم : برحذبشبا عربايا (العربي) صاحب التاريخ الذي يبدأ بالقرن الثالث وينتهي بالسادس وقد نشره نو(١٠٤) .وقامت بجوار بلد مدرسة شورزاك وفيها درس ماروثا التكريتي عام ٥٦٥ ، ونلقى دير سرجيوس الناسك ، المعروف بالدير المعلق فوق جبل اجرد يعرف بجبل بطحان جنوبي ، أنشىء منذ القرن السادس ، ودير كنوشيا الى الجنوب الغربي من بلد ، وكنيسة مار سرجيوس التي شيدها احودمه في السـنوات ٥٦٧ ــ ٥٨١ ، ومدرسة نسطورية كان استاذها ابو مالك في الفترة المذكورة وهو الذي أسس في وقت لاحق مدرسة الشهادة في نصيبين . وابتنى اسقف بلد مدرسة خارج المدينة للطلبة اللاجئين اليها بعد تركهم مدرسة نصيبين اثر مساندة الجاثليق لحنانا ، ومن بين هؤلاء التلاميذ ايشوعياب الجدالي الذي اصبح فيما بعـد بطريركا (٦٢٨ ــ [illegible]) . ويذكر بأن مسكينا العربي أيضاً كان ردحا من الزمن استاذا في بلد (١٠٥) .

وشاد يعقوب اللاشومي ، تلميذ ابراهيم الكبير ، ديرا في المرج (عقرة)

---

(١٠٣) مخطوطة لندن رقم ١٢١٥٣ .
G. Furlani, Una introduzione alla Logica aristotelica, Rend. Acc. Naz. dei Lincei V, 25 (1916) , P. 717 - 718 ; F. Nau, ROC 14 (1909) , 120 - 130 (Decreti) .

(١٠٤)
F. Nau, Bar Hadbsabba, Histoire, PO 9, p. 490-630, 23, p. 177-343

(١٠٥) بلد ومنطقة عربايا للاب حنا فيي ، ترجمة نجيب قاقو . مجلة بين النهرين ١١ (١٩٨٤) ، ص ٣٠٦ ــ ٣٠٧ .

وباعوث ، وعنانيشوع صاحب الالفاظ المبهمة والمحاولة المعجمية الاولى التي قام حنين بن اسحق باستكمالها ، واخذ عنهما سائر المعجميين السريان ، ثم يوحنا الجرمقي والجاثليق كوركيس الاولالذي عقد مجمعا عام ٦٧٤/٦٧٦ ، وغيرهم (١٠٦) .

ولما رأى سبريشوع الجاثليق (٥٩٦ ــ ٦٠٤) ضعف دراسة الصبيان في بلاد النبط ، عكس ما في جنديسابور والاحواز ، عمم الكتب والتدريس ، ووضع قوانين للاديرة والمدارس التي تحت ادارة بطريركية المشرق ، كما شمل ثلاثة أديرة واقعة في منطقة سنجار بانعامات بطريركية خاصة (١٠٦ مكرر) .

ومن اهم مدارس كرخ سلوخ (كركوك) مدرسة علم فيها دنحا في القرن السادس ، ومن تلاميذه شوحالمارن مطران باسلوخ صاحب كتاب أصول المعرفة ومصنفات نسكية ولاهوتية شتى (١٠٧) .

ولا بد من التنويه بدير زوقنين المعروف باسم يوحنا ، وهو بجوار دياربكر ، فقد انشىء في المائة الرابعة ، وعلم فيه اساتذة مشاهير . بينما يعرف دير قرتمين بدير العمر ودير مار كبرييل (جبرائيل) في طورعبدين ، وقد انشىء سنة ٣٩٧ وتخرج منه علماء أفاضل . وقام في كورة انطاكية دير اوسيبونا ودير تلعدا ، صارا مركزين ثقافيين مهمين ، وعلا شأنهما لاسيما بفضل يعقوب الرهاوي (المتوفى سنة ٧٠٨) ، فقد درس هذا في قنسرين والاسكندرية ، واختير اسقفا ، الا انه فضل حياة الزهد والتعليم ، فترك رسائل

---

(١٠٦) كتاب الرؤساء لتوما المرجي . تعريب الاب البير ابونا ، الموصل ١٩٦٦ ، وكان قد طبعه بدج مع ترجمة انكليزية .

(١٠٦ مكرر) السنهادوسات ، طبعة شابو ، ص ١٩٦ ــ ٢٠٧ ، ٤٥٦ ــ ٤٧٠ ، وتقه النصرانية لابن الطيب ، ٢ ، ١١٠ قانون ٤٧ .

(١٠٧) يومشترك ، ص ١٣٣ .

في مسائل شتى ، وابحاثا كتابية وطقسية ، وتاريخا وقد طبع ، وقصائد ومقالات . وكتاب هكساميرون منشور (١٠٨) .

وتتمتع سروج بمنزلة ثقافية ، يكفينا التنويه بيعقوب السروجي المولود نحو سنة ٤٥١ ، فقد درس في الرها ، وقام بترجمة جملة كتب لديودوروس الطرسوسي وتيودوروس المصيصي ، حتى أختير اسقفا على بطنان ، لكنه توفي بعد سنتين من ذلك عام ٥٢١ تاركا زهاء ٧٦٣ قصيدة ، نشر منها بيجان ١٩٥ ، تتضمن شروحات كتابية ومواضيع لاهوتية وفلسفية وتصوفية . وله قصة تنصر الملك قسطنطين ، واهل الكهف ، ومواعظ شتى ، لنا منها في مخطوط لندن رقم ١٤٥٨٧ ترجع الى سنة ٦٠٦ ، وله نظرية جميلة في الكون متاثرة بنرسي ، اخذ عنها العديد من المؤلفين اللاحقين (١٠٩) .

ونجد في بلاط تيودورة ، سنة ٥٤٣ ، الحارث بن جبلة ملك قبيلة بني غسان التي كانت تحمي الحدود السورية من هجمات الفرس . وقد كان قدومه لطلب اسقفة ، فرسم بطريرك الاسكندرية تيودوسيوس ، (وكان معزولا وموجود يومذاك في القسطنطينية) شخصا يدعى تيودور اسقفا على بصرى ، السوق الكبرى الواقعة على الحدود السورية ، تمر بها قوافل الحجاز والهند . كما رسم يعقوب البرادعي اسقفا على الرها ليتنقل بين سوريا وآسيا الصغرى

---

(١٠٨) اللؤلؤ المنثور ، ص ١٩ — ٢٠ ، اوربينا ، ص ١٧٧ — ١٨٣ . وانظر تاريخه في : تواريخ سريانية ، ترجمتي ، بغداد ١٩٨٢ ، ص ٤٧ — ٢٠٠ وبشأن التاريخ الزوقنيني ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الهيئة السريانية ، المجلد ٨ (١٩٨٤) ، ص ٦٣ — ١٣٣ .

(١٠٩) اوربينا ، ص ١٠٤ — ١٠٩ ، وثمة اطروحة للاب بهنام سوني في الانثروبولوجيا لدى يعقوب السروجي ،نشر منها فصلا في مجلة بين النهرين ٨ (١٩٨٠) ، ص ١٦٧ — ١٨٦ .

ومصر لتنظيم اتباع الكنيسة السريانية الغربية ، فرسم يعقوب ٢٧ اسقفا بالاضافة الى كهنة وشمامسة عديدين حتى وفاته عام ٥٧٨ ، وله نافور قداس ورسائل [١١٠] .

وقد ألمحنا الى الحيرة ، كبرى المدن العربية على الحدود الفارسية ، وانتشار الديارات في اطرافها ، وانتقال المسيحية منها الى اليمامة ، والافلاج، ووادي الدواسر ، ثم الى نجران واليمن . كما انتشرت المسيحية في قطر والبحرين . ومن الديارات التي كان فيها مركز اشعاع علمي دير ابن وضاح (مار عبدا المعري) ودير الجرعة أو دير عبدالمسيح بن بقيلة ، ودير مار آبا الكبير ، ودير هند الكبرى ، ودير هند الصغرى [١١١] .

ومن مشاهير الخليجيين عهد ذاك جبرائيل الكاتب ، وجبرائيل الاسقف اخو تيودور مطران مرو ، وقد كان جبرائيل اسقفا على هرمزد اردشير في الاحواز ايام مار آبا الكبير ، ومار عبدا رئيس دير محراق (ريما) في القرن الرابع . ومن اساقفة كرخ ليدان ، التي شيدها سابور الثاني (٣٠٩ — ٣٧٩) لاسكان الروم ، بولس بن قاعي أحد تلاميذ مدرسة الرها سنة ٤٨٦ . وعام ٤٨٤ يعقد برصوما مجمعه الكنسي في بيت لافاط (جنديسابور) عاصمة خوزستان ، مما يدلل على اهمية المنطقة . ونلقى نحويا في القرن السادس هو يوسف

(١١٠) اللؤلؤ المنثور ، ص ٢٦٠ — ٢٦١ . جرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ، بيروت ، ص ١٩٩ — ٢٠٣ .

(١١١) محمد سعيد الطريحي ، الديارات والامكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها ، بيروت ١٩٨١ . بالغ الكاتب في اعطاء دور كبير جدا للحيرة ، بل للكوفة ، في نشر المسيحية (النسطورية) في المنطقة العربية حتى البلدان النائية ، كالهند . وبشان ايضاح شيء من ذلك انظر : د. صالح احمد العلي ، امتداد العرب في صدر الاسلام ، بغداد ١٩٨١ ، ص ١٦ — ٢٠ . وراجع الهامش ٦٣ .

هوزايا (الاحوازي) ، كما يمضي برصوما « العجيب » ، اسقف كرخ ليدان، وهو غير برصوما مطران نصيبين ، بوفادة الى هرقل ملك الروم سنة ٦٣٠ • اما الذي فتح ابواب جنديسابور امام العرب والمسلمين فهو مطران المدينة مار امه ، وقد كان مطرانا على نينوى ، ثم تبوأ كرسي جثلقة المشرق في المدائن عام ٦٤٤ او ٦٤٧ • وثمة علماء خليجيون آخرون تطرقنا اليهم في بحث آخر [١١٢] • ولا مناص لنا من التنويه بان آل حنين هم من عباد الحيرة ، وشهير هو دورهم في مجال الترجمة وفتح ابواب المعرفة والثقافة [١١٣] •

ولا يسعنا حصر دور المراكز السريانية الثقافية كلها ، ولا الكتبة والعلماء الذين قاموا في القرون التي سبقت عصر الحضارة العربية الذهبي ، اذ يقتضي لذلك سفر ضخم على الرغم من ضياع الاثار بل المعلومات التي في وسعها ان تكشف لنا ملامح ثقافية مغمورة نحن بحاجة اليها • فنحيل من يود التعمق الى المراجع التي تتناول الامر ، وأهمها كتب التاريخ ، والاداب السريانية •

بعض المؤلفين الاخرين وشيء من النتاج الادبي

كان ميليطون اسقفا على سردة (ساردس ، عاصمة ليدية في آسيا الصغرى) نحو سنة ١٧٠ ، وقد سلم لنا منه خطاب احتجاجي تفوه به في حضرة القيصر انطونينوس حثه فيه على الايمان بالله ، ذكره اوسابيوس القيصري في تاريخه كاول نموذج للادب الاحتجاجي [١١٤] •

(١١٢) ملامح خليجية ثقافية ، ص ٣٢ ـ ٣٥ ؛ وفيي ، جماعات سريانية ، ٢ ، ١٧٧ ـ ٢١٩ .

(١١٣) بشان آل حنين انظر : كتاب مهرجان افرام حنين ، القسم الثاني ؛ وبحوثي : حنين بن اسحق . بغداد ١٩٧٤ ؛ اسحق بن حنين ، دائرة المعارف ، بادارة فؤاد افرام البستاني . المجلد ١٢ ؛ حبيش بن الحسن الاعسم ، مجلة المجمع العراقي ، المجلد ٣١ (١٩٨٠) والخ .

(١١٤) القسم الرابع ، الفصل ٢٤ . وقد نشر الاب مارتن مقتطفات :
P. Martin, in : J. B. Pitra, Analecta sacra, Paris 1883 .

وتلقى مارا مطران آمد من محبي العلم ، فانه لما نفي مع اسقف قنسرين الى البتراء (بطرا) نحو سنة ٥٢٠ ، صحبه كتابه الاربعة ، فقصد الاسكندرية وجمع خزانة كتب نفسية ، وظل يكتب حتى وفاته سنة ٥٢٩ ، غير ان معظم كتاباته باليونانية [١١٥] .

اما يشوع العمودي ، من رهبان دير زوقنين ، فقد كتب سنة ٥٣٥ تاريخ الحروب الفارسية الرومانية للسنوات ٣٦٣ ـ ٥٠٦ [١١٦] .

ووضع يوحنا الآمدي اسقف افسس حياة القديسين المشارقة سنة ٥٦٦ ـ ٥٦٨ ، وتاريخا كنسيا في ثلاثة اقسام ، لم يسلم منه سوى الثالث وهو يغطي السنوات ٥٧٥ ـ ٥٨٥ [١١٧] . ونلقى ليوحنا فنكايي ، من اواخر القرن السابع . تاريخاً لاهوتيا يمتد من الخلقة حتى الفتوحات العربية ، منه عدة مخطوطات [١١٨] . وازدهر بالاى في القرن الخامس ، ورغم اثارة شكوك حول بعض كتاباته ، فان له قصيدة في تكريس كنيسة قنسرين ، واخرى في مدح آقاق الاسقف ، وتراتيل طقسية وقصة يوسف منظومة [١١٩] . ولنا كتاب وضعه مجهول في اواخر القرن الرابع يحمل عنوان كتاب (الدرجات) نشره كموسكو [١٢٠] ، وآخر بعنوان (مغارة الكنوز) من مطلع القرن الخامس ، وضعه مؤلف سرياني ايضا كمدخل شعبي الى العهدين القديم والجديد، ولكن

(١١٥) اللؤلؤ المنثور ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .
(١١٦) اوليرى ، ص ١١٨ ـ ١١٩ ، اللؤلؤ المنثور ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .
(١١٧) وقد نشره بروكس ، انظر بحثي ، التواريخ السريانية ، مجلة المجمع العلمي العراقي / الهيئة السريانية ، المجلد ٦ (١٩٨١ ـ ١٩٨٢) ، ص ٧٠ .
(١١٨) التواريخ السريانية ، ص ٤٥ ـ ٤٦ .
(١١٩) مخطوطة لندن رقم ١٤٥٩ ، انظر : اوربينا ص ٩١ ـ ٩٣ .
(١٢٠) ed. M. Kmosko, PS III, Paris

بشكل قصصي [١٢١] • وكتاب آخر يتضمن (وصية ابينا آدم) لعله من الفترة عينها ، لنا منه ترجمة حبشية قديمة [١٢٢] • والى السنوات عينها تقريبا ترجع (اناشيد سليمان) ، وهي ٤٢ ترتيله سريانية [١٢٣] •

وينبغي ألا نغفل ذكر اسحق الانطاكي ، من مطلع القرن الرابع ، صاحب القصائد العديدة ، منها (الببغاء) ، واخرى في ذم الطمع ، وغيرها في صعود المسيح ، ومقالات دينية شتى نشرها بيكل وبيجان [١٢٤] •

ومن الاعلام الكبار فيلكسينوس المنبجي ، المتوفى سنة ٥٢٣ ، المولود في تحل (باجرمي) ، والذي لقب بالغريب (اخسنايا) ، فدرس وعلم وكتب في دير قرتمين والرها ودير تلعدا ، ورسم اسقفا على منبج (هيرابوليس) ، وكان شديد المعارضة للنساطرة، وقد نفي آخر عمره • من كتاباته تفسير اسفار العهدين القديم والجديد ، وبحث في التثليث والتجسد يستشهد فيه بمؤلفات يونانية مما يدل على انه كان يتقن اليونانية ، ومقالات ضد الخلقيدونيين ، وماني ، ومرقيون ، واوطاخي ، وديودورس ، ونسطور • وكتابه النفيس ادبيا هو (سيرة الكمال) ، كما له نافورتا قداس ورسائل [١٢٥] •

---

(١٢١) ed. C. Bezold, Die Schatzhöhle, Leipzig 1883

(١٢٢) ed. E. Renan, Fragments du livre gnostique, in : JA 2 (1853), p. 427 - 471 .

(١٢٣) منها مخطوطة لندن رقم ١٤٥٣٨ نشرها هاريس ومنكنا : J. R. Harris — A. Mingana, The Odes of Solomon, 2 voll., Manchester 1916 - 1920 .

(١٢٤) منها مخطوطة لندن رقم ١٤٥٩٢ من القرن ٦/٧ ، نشرها بيكل وبيجان: G. Bickell, S. I. A., opera omnia, 2 partes, Gissae 1873 - 1877 ; P. Bedjan, Paris 1903 .

(١٢٥) مما سلم من تآليفه مخطوطة لندن رقم ١٧١٩٦ من السنة ٥١١ وفيها

وخير من نختم به هذه الشواهد ساويرا سابوخت، المتوفى سنة ٦٦٧. ولد في نصيبين، وترهب في دير قنسرين، وقضى حياته في تدريس الفلسفة واللاهوت والرياضيات والفلك، وتخرج على يده الكثيرون، اشهرهم البطريرك أثناسيوس الثاني ويعقوب الرهاوي. كان يتقن اليونانية والفارسية، بالاضافة الى السريانية. ترجم عن الفارسية شرحا لبولس في عبارة ارسطو، والمقدمة التي عملها لكسرى، وفسر شيئا من العبارة لايثالاها النينوي، وفسر كذلك بعض قوانين اورغانون ارسطو لشخص اسمه يونان، ودبج بحثا في الانالوطيقا الاولى سنة ٦٣٨. وله مؤلف شهير في علم الفلك، كتب فيه عن خسوف القمر وتغيراته، والاسطرلاب والابراج، وله مقالة في أسابيع دانيال، وفصل في زمن ميلاد المسيح، وثلاث رسائل في التاريخ[١٢٦].

خاتمة المطاف

هذا غيض من فيض، نظنه كافيا لاظهار حقيقة مفادها ان للسريانية تراثا زاخرا، متنوعا، فيه من الاصالة والاقتباس، والسمات المشتركة والمميزات الخاصة معا، والنقول والتآليف، فهو ارث زاخر ومهم. تكون منذ القرون

نتف من شرح متى ولوقا ويوحنا؛ ومخطوطة لندن رقم ١٤٥٣٤ من القرن ٦ في تفسير الكتاب المقدس، ومخطوطة الفاتيكان ١٣٧ من السنة ٥٦٤، و ١٣٨ من السنة ٥٨١، ومخطوطة لندن ١٢١٦٤ من القرن السادس وجميعها في التثليث والتجسد، نشرها فاشالد. انظر اللؤلؤ المنثور، ص ٢٢٦ ـ ٢٣٣. وقد اعاد مجمع اللغة السريانية طبع كتابه في كمال السيرة، بغداد ١٩٧٨.

(١٢٦) نلقى ترجمته لشرح بولس في مخطوطة دير السيدة (الرهبان الكلدان) رقم ٥٠، وتفسير العبارة لايثالاها في مخطوطة لندن ١٧١٥٦، الاوراق ١ ـ ١٢ من القرن ٩؛ وكذلك قوانين الاورغانون. ومؤلفه في الفلك محفوظ في مخطوطة باريس رقم ٣٤٦. انظر: اللؤلؤ المنثور، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٥؛ اوربينا، ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

الاولى للميلاد وحتى الفتوحات العربية الاسلامية ، بحيث يحق لنا ان نضع تراث السريانية في هذه العهود في مكانة مرموقة في تاريخ الحضارة الانسانية.

انه تواصل حضاري ، يستمد أصوله الحقة من المعين الصافي ، تراث المدنية العالمية المشترك ، الذي كان لحضارات وادي الرافدين وحوض البحر المتوسط اكبر الاسهام في تكوينه وانمائه ، وهو يرتكز بشكل مباشر على دعائم منطق الفكر والعلم كما عرف الاغريق ان يصوغوا ذلك ، فقدم فكرا متميزا ، وعلوما متطورة في قرون قيض لسريانية ان تسود منطقة واسعة جدا ، فتنفحها ، والعالم باسره ، أنفاس حضارة راقية بأريج سرياني عذب سوف تتنسمه العربية فتحوله ربيعا يجدد المعرفة والعلوم ويبثها في أجواء رحبة جدا .

المراكز السريانية الثقافية

الدكتور يوسف حبي

عضو المجمع العلمي العراقي

رئيس تحرير مجلة بين النهرين

فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي

العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية

المجلد التاسع

بغداد

١٩٨٥